مداد
مركز دمشق للأبحاث والدراسات
Damascus Center For Research and Studies

دراسات سياسية

الثعلب والقنفذ:

الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية

د.عقيل سعيد محفوض

مداد ...

مؤسسةٌ بحثيةٌ مستقلّة تأسّست عام ٢٠١٥، مقرّها مدينة دمشق، تُعنى بالسياسات العامّة والشؤون الإقليمية والدولية، وقضايا العلوم السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والقانونية والعسكرية والأمنية، وذلك بالمعنى المعرفيّ الشّامل (نظريّاً، وتطبيقيّاً)، بالإضافة إلى عنايتها بالدراسات المستقبلية/الاستشرافية، وتركيزها على السياسات والقضايا الرّاهنة، ومتابعة فاعلي السياسة المحلية والإقليمية والدولية، على أساس النّقد والتقييم، واستقصاء التداعيات المحتملة والبدائل والخيارات الممكنة حيالها.

جميع حقوق النشر محفوظة © ٢٠١٧

سورية – دمشق – مزة فيلات غربية – خلف بناء الاتصالات – شارع تشيلي – بناء الحلاق 85

www.dcrs.sy

info@dcrs.sy

مداد
مركز دمشق للأبحاث والدراسات

الثعلب والقنفذ:

الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية

د. عقيل سعيد محفوض

المحتويات

ملخص.....3
مقدمة.....5
أولاً- في مقاربة الحدث.....8
1. تدبير الحدث.....8
2. الاستعارات القاتلة.....9
3. الأنماط التكرارية.....10
ثانياً- سورية والولايات المتحدة: العلاقة المستحيلة.....12
ثالثاً- هيا نضرب كيماوياً!.....14
رابعاً- عبء ترامب.....17
خامساً- استهداف نقاط القوة–نقاط الضعف.....20
1. كعب أخيل.....20
2. كش ملك!.....21
سادساً- تطورات كاشفة؟.....23
سابعاً- العم "أبو إيفانكا".....26
ثامناً- الإشارات والتنبيهات.....28
الخاتمة.....31
المراجع.....32

ملخص

بين الثعلب والقنفذ ديناميات صراع مركبة، لدى أحدهما طرقٌ عديدة للاستهداف، فيما لدى الآخر طريقة واحدة ناجعة، وهذا ما بدا أنه ينطبق على سياسة الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية، وخاصة بعد حادثة/ذريعة خان شيخون والاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية، ويزيد على ذلك أن الطرق العديدة مقيدة بإكراهات إقليمية ودولية تعوق عمله، فيما لدى صاحب الطريقة الوحيدة، عوامل تعزيز واحتواء تمارس تأثيراً نشطاً في مسارات الأمور.

اتسم الموقفُ الأمريكيُّ من الأزمةِ السوريّةِ، بكونه متعدّدَ المستويات والأنماط، وكان يتطور بالإضافة وليس بالإزاحة أو الإحلال. وقد رجَّحَ قرارُ الاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية (7 نيسان/أبريل 2017) والتداعيات التي أعقبته، التقديرات بأن الرئيس ترامب ربما بدأ جدياً وفعلياً بتبني خيارات تجنح نحو التطرف والعنف الفائق في التعاطي مع العديد من ملفات السياسة الدولية، بدءاً من الأزمة السورية.

تنطلق الدراسة من فكرة أنَّ حادثةَ الكيماويّ في خان شيخون (4 نيسان/أبريل 2017) كانت نتيجة لقرار سابق باتخاذ إجراءات معادية لسورية وحلفائها، وليس العكس، وأن الولايات المتحدة ربما أرادت أن تستهدف سورية من أكثر النقاط ضعفاً (كعب أخيل) وكذلك من أكثر النقاط قوة (خيار الإسكندر)، وأنَّ لطبيعة النظام السياسي في الولايات المتحدة و"الدولة العميقة" والتحالفات والخصائص الشخصية للرئيس "ترامب"، إلخ، تأثيرات ذات شأن في الموقف الأمريكي من الأزمة السورية. وثمة إلى ذلك إكراهات كان لها تأثير في مسارات الأمور.

تُقارب الدراسة موضوعَها من خلال تشكيل منهجي أو معرفي مركب، يتضمن استعارات تفسيرية وتحليلية مختلفة، بقصد تفكيك دوافع القرار الأمريكي بالاستهداف المباشر لقاعدة الشعيرات الجوية، والمنطق العميق الذي صدر عنه ذلك القرار، والأنماط التكرارية في مدارك وسلوك الولايات المتحدة تجاه الأزمة السورية.

تحاول الدراسة منهجيّاً "تجريب" أو "اختبار" استعارات عديدة من الحكايات والأساطير الإغريقية كـ "الثعلب والقنفذ"، و"كعب أخيل"؛ ومن الألعاب كـ "الشطرنج"؛ ومن العلوم العسكرية مثل: "نقاط الاستهداف"، و"نقاط القوة"، و"نقاط الضعف"؛ ومن عالم الميديا والابستمولوجيا مثل: "الإدراك" و"الفهم" و"سوء التقدير" وتغيير الرؤية والمدارك المسبقة أو المدارك القصدية في اختلاق واقع افتراضي لا يلبث أن يصبح واقعاً مُتعيّناً" و"حقيقياً" أكثر من الواقع نفسه، وغيرها.

تتألف الدراسة من مقدمة وثمانية محاور، الأول في مقاربة الحدث، ويتضمن "تدبير الحدث"، و"الاستعارات القاتلة"، و"أنماطاً تكرارية"؛ والثاني: سورية والولايات المتحدة: العلاقة المستحيلة؛ والثالث: هيا نضرب كيماويّاً!؛ والرابع: عبء ترامب؛ والخامس: استهداف نقاط القوة-نقاط الضعف، ويتضمن "كعب أخيل"

و"كش ملك!"؛ والسادس: تطورات كاشفة؟؛ والسابع: العم "أبو إيفانكا"؛ والثامن: الإشارات والتنبيهات، وأخيراً الخاتمة.

تخلص الدراسة إلى أن الاستهداف الأميركي لقاعدة الشعيرات مَثَّلَ نقطةَ تحولٍ ضاغطة ضد سورية وحلفائها، ورفع من سقف توقعات خصومها بشأن المزيد من التدخل، إلا أنه أدى عملياً وسريعاً إلى عكس ما هدف إليه تقريباً، وتمثل ذلك بـ "تصليب" جبهة حلفاء سورية. وهذا يضع قرار الاعتداء و"التهليل" له، في حيز "إساءة الحكم" أو "إساءة التقدير" من قبل إدارة "ترامب" وحلفائها، ولو أن المعركة مفتوحة على احتمالات عديدة، ذلك أن ديناميات الصراع سوف تستمر.

مقدمة

بين الثعلب والقنفذ ديناميات صراع مركبة، لدى أحدهما طرقٌ عديدة للاستهداف، فيما لدى الآخر طريقة واحدة ناجعة، وهذا ما بدا أنه ينطبق على سياسة الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية، وخاصة بعد حادثة/ذريعة خان شيخون والاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية، ويزيد على ذلك أن الطرق العديدة مقيدة بإكراهات إقليمية ودولية تعوق عمله، فيما لدى صاحب الطريقة الوحيدة، عوامل تعزيز واحتواء تمارس تأثيراً نشطاً في مسارات الأمور.

يُشبه الاعتداء الأميركي على مطار الشعيرات جنوب شرق حمص (7 نيسان/أبريل 2017) تخريجات "فقه الحيل"، فهو "يفي بالغرض" إذا كان المقصود منه مجرد الاستجابة العاجلة والمنفردة لحادثة "خان شيخون". وطالما أن الولايات المتحدة قررت سلفاً –ومن دون أي تحقيق– من هو الفاعل، فقد كان من المتوقع أن يكون للاتهام ما بعده، إما: الضغط باتجاه صفقة ما على غرار نزع السلاح الكيماوي بعد حادثة الغوطة بريف دمشق (آب/أغسطس 2013)، أو: القيام بإجراءات عسكرية مباشرة، لكن محدودة بحكم تعقيد المشهد وخطورة التورط في مواجهات مفتوحة.

قامت الولايات المتحدة بالاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية جنوب شرق حمص، بإطلاق 59 صاروخاً من نوع "توماهوك" فجر الجمعة (7 نيسان/أبريل 2017)، بعد اتهامها الجيش السوري باستخدام السلاح الكيماوي ضد أهداف غير عسكرية في خان شيخون بريف إدلب. وهذا ثاني اعتداء مباشر تقوم به على منشآت عسكرية سورية، الاعتداء الأول كان على مواقع بجبال الثردة قرب مطار دير الزور (17 أيلول/سبتمبر 2016). وقد أثار الاعتداء على الشعيرات موجة تقديرات وتأويلات وتساؤلات مُفرِطة بين حدين أو مستويين، الأول: هو هل أن الهجوم مجرد "فشة خلق" وتوتر عابر وسوف تعقبه عودة لمسار التفاهمات؟ الثاني: قدَّرَ أنه مؤشر على تحول كبير في موقف الولايات المتحدة أو إدارة ترامب ليس تجاه الأزمة السورية فحسب، وإنما تجاه الموقف الدولي ككل، وخاصة العلاقات الأمريكية -الروسية، وبالأخص العلاقات بين ترامب وبوتين.

يبدو أن الإعداد لحادثة خان شيخون (4 نيسان/أبريل 2017) وصولاً إلى الاعتداء على قاعدة الشعيرات تما على عَجَل، وفي سياق التورط الأمريكي في الأزمة السورية، وخارج سياق (بل بالضد من) التفاهمات المعلنة وغير المعلنة بين الولايات المتحدة وروسيا حول تسوية سياسية للأزمة وضبط أي تطورات "غير حميدة" في الموقف بين موسكو وواشنطن في إطار الأزمة السورية.

وهكذا فقد جاء الاعتداء من باب الذريعة والمَسْرَحة الفائقة للموقف! وكان من الواضح أن شيئاً ما سوف يحدث بعد التهويل الإعلامي والمبالغة في كيل الاتهامات للحكومة السورية، ورفض فكرة التحقيق في

الحادثة، وجاء ذلك مُعزّزاً لتقديرات شبه يقينية لدى الحكومة وحلفائها من أن جهات استخباراتية دولية كانت شريكاً في الإعداد لحادثة خان شيخون، ولم تكن الحادثة مجرد توريط لها.

جاء الاعتداء من باب الذريعة والمَسْرَحة الفائقة للموقف، وكان من الواضح أن شيئاً ما سوف يحدث بعد التهويل الإعلامي والمبالغة في كيل الاتهامات للحكومة السورية، ورفض فكرة التحقيق في الحادثة.

وقد عزَّزَ الاعتداءُ على سورية والتداعيات التي أعقبته التقديرات بأن ترامب ربما بدأ جدياً وفعلياً بتبني خيارات تجنح نحو التطرف والعنف في التعاطي مع العديد من ملفات السياسة الدولية، بدءاً من الأزمة السورية، وساعد موقفه في "التخفيف" من مخاوف متزايدة لدى حلفائه، بل إلى تغيير المدارك تجاه ترامب بصورة كلية تقريباً، وبدء موجة تفاؤل كبيرة بأنه يقطع بهذا الموقف مع سياسة "التردد" التي قيل: إنَّ باراك أوباما كان ينتهجها تجاه سورية. والواقع أن موقف "ترامب" ربما أدى إلى ما يشبه الصدمة لدى بعض خصوم واشنطن الذين تفاءلوا به نسبياً، كرهاً بـ "هيلاري كلينتون" أو توجساً منها. ويبدو أن ترامب "أزال" بضربة واحدة التقديرات السلبية في الولايات المتحدة نفسها وأوربا ومناطق أخرى عنه وعن شعبويته ولا عقلانيته، وتحول بين ليلة وضحاها إلى رجل أمريكا، بل رجل العالم القوي والعقلاني والحاسم!

تتناول الدراسة موقف الولايات المتحدة من الأزمة، بالتركيز على حادثة "خان شيخون" والاعتداء على "قاعدة الشعيرات الجوية"، من جوانب عدة، مثل: استخدام السلاح الكيماوي ذريعةً، لممارسة الضغوط على سورية وحلفائها، وثمة "أنماط تكرارية" للسلوك الأمريكي بهذا الخصوص، واتجاه الولايات المتحدة لاستهداف سورية من أكثر النقاط ضعفاً، وهو "المذهبة" من جهة، وذريعة الكيماوي من جهة ثانية، وكذلك استهدافها من أكثر نقاطها قوة وهو الضغط على "روسيا" و"إيران" لوضعهما في سياق يضطرهما –وخاصة روسيا– للتخلي عن دعم سورية. وتركز الدراسة على أنماط التدخل الأمريكي في الأزمة السورية، ودوافع انقلاب الموقف من قبل "إدارة ترامب"، ولماذا بدا الاعتداء "ضرورة" لها، وما هي دلالاته، ودور الاعتبارات النفسية والإدراكية في ذلك.

تمثل الاستعارات المفاهيمية واللغوية والتعبيرية أحد المداخل التي يمكن استخدامها في تحليل الحدث السوري والعالمي. وتحاول الدراسة "تجريب" أو "اختبار" استعارات عديدة من الأسطورة الإغريقية، مثل: "الثعلب والقنفذ" و"كعب أخيل"؛ ومن الألعاب كلعبة الشطرنج، ومن العلوم العسكرية، مثل: تكتيكات الحرب، والاحتواء، ونقاط الاستهداف ونقاط القوة ونقاط الضعف، ومن عالم الميديا والابستمولوجيا، مثل: الإدراك، والفهم، وسوء التقدير، وتغيير الرؤية، والمدارك المسبقة، أو: المدارك القصدية، في اختلاق واقع افتراضي لا يلبث أن يصبح "واقعاً مُتعيّناً" و"حقيقياً" أكثر من الواقع نفسه[1]، وغيرها.

[1] جان بودريار، **المصطنع والاصطناع**، ترجمة: جوزيف عبد الله، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008).

تتألف الدراسة من مقدمة وثمانية محاور، الأول في مقاربة الحدث، ويتضمنُ "تدبيرَ الحدثِ"، و"الاستعاراتِ القاتلةَ"، و"أنماطاً تكرارية"؛ والثاني: سورية والولايات المتحدة: العلاقة المستحيلة؛ والثالث: هيا نضرب كيماويّا!؛ والرابع: عبء ترامب؛ والخامس: استهداف نقاط القوة-نقاط الضعف ويتضمن "كعب أخيل" و"كش ملك!"؛ والسادس: تطورات كاشفة؟؛ والسابع: العم "أبو إيفانكا"؛ والثامن: الإشارات والتنبيهات، وأخيراً الخاتمة.

ولا بد من الإشارة إلى أن الدراسة إذ تنطلق من حدث طارئ ومفاجئ، فهي لا تتناوله بوصفه موضوعاً تاماً، وإنما منطلقاً أو مناسبةً لمقاربة سياسة الولايات المتحدة إزاء الأزمة السورية، بكل الدلالات الرمزية والواقعية التي مثَّلَها الحدث، ومن ثم فالدراسة تدرك حدود ما يمكن أن تقوم به، وقد حاولت أن تقاوم المدارك والتقديرات المتداولة في حالات الأزمة (الاعتداء على الشعيرات) بأن تموضع الأزمة في سياق السياسات طويلة الأمد، لا أن تخلع معنى الأزمة المذكورة وظرفيتها على الحدث السوري والإقليمي والعالمي ككل.

وهكذا تحاول الدراسة أن تستخدم أو تجرب مداخل مختلفة في التحليل، بما يمكن أن يساعد في إضاءة الحدث أو تفسيره، وكذلك الأمر بالنسبة للاستجابات الرئيسة له. وتحديداً ما تضمنته الاستعارات الرئيسة الخاصة مثل: "الثعلب والقنفذ" التي تدور حول الخيارات والبدائل أمام الولايات المتحدة الأمريكية وسورية، وسلطة المخيال والمدارك المخيالية وتوظيف الميديا في اختلاق وقائع افتراضية لتُبنى عليها وقائع مادية ومدارك جديدة، إلخ.

أولاً- في مقاربة الحدث

يمثل الاعتداء الأمريكي على "قاعدة الشعيرات الجوية" حدثاً كاشفاً للتجاذبات والرهانات الدولية حول الأزمة السورية، ذلك أن ما يظهر للعلن من عناوينَ وتبريراتٍ وذرائعَ لا يمثل بالتمام حقيقة الأمور، وما أن تجتمع فواعل السياسة حتى "تنزع أقنعتها"، ذلك ينطبق على مَنْ تتخفى منها خلف قناع، واحدةً بعد أخرى، لتكون المُنازَلَة والمُساوَمَة والمُفاضلة بين الخيارات والإمكانات، بما يضمن أكبر قدر ممكن من المكاسب وأقل قدر ممكن التكاليف.

وهكذا فإن الدراسة تقارب موضوعها من خلال تشكيل منهجي أو معرفي مركب، متواشج، مستعيناً باستعارات تفسيرية وتحليلية مختلفة، بقصد تفكيك دوافع ومحددات القرار الأمريكي بالاستهداف المباشر لـ "قاعدة الشعيرات الجوية"، والمنطق العميق الذي صدر عنه ذلك القرار، والأنماط التكرارية في مدارك وسلوك الولايات المتحدة تجاه الأزمة السورية.

1. تدبير الحدث

في الوقت الذي لم تتمكن فيه النظريات الكبرى في العلاقات الدولية من التوصل إلى "تفسير مستقر" للحدث السوري، فقد حاول المشتغلون بالعلم والتحليل العلمي تقديم أنماط من الاستجابات التي تميزت بقَدْرٍ متفاوت من الجدة والقدرة على التحليل، وجلاء أو فتح الجوانب المستغلقة في فهم أو تفسير الأزمة. ولو أن الأزمة تشهد بين لحظة وأخرى تطورات غير متوقعة، من قبيل التقلبات في مواقف عدد من فواعلها، والخروج عن التوافقات المعلنة أو المضمرة، وتفاوت إيقاع العمليات العسكرية، إلخ.

لعلَّ التطور الأبرز في الموقف الأمريكي من المشهد السوري هو –كما سبقت الإشارة– إظهار الولايات المتحدة أنها مستعدة لنوع من "القطيعة" في الموقف، والانتقال من سياسة (تخالطها العسكرة) إلى عسكرة (تخالطها السياسة)، وتدبير ذرائع مختلفة من أجل ممارسة المزيد من الضغوط العسكرية والسياسية على النظام العالمي من بوابة المشهد السوري[2].

سوف تركز الورقة على حادثة الكيماوي في "خان شيخون" بريف إدلب (4 نيسان/أبريل 2017) بوصفها ذريعة استخدمتها الولايات المتحدة وحلفاؤها للاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية (7 نيسان/أبريل 2017) والعمل على إحداث تغيير في المشهد الإقليمي والدولي من بوابة الأزمة السورية.

إن اعتداء الولايات المتحدة على سورية، والتصعيد اللاحق، ليسا نتيجة حسابات عقلانية لمدارك تهديد أو أولويات أمن قومي فحسب، ولا مجرد تتابع عشوائي أو ارتباط مُؤَهّب بين مُدخلات ومُخرجات، أسباب ونتائج،

[2] تحدث ترامب في حوار مع صحيفة "وول ستريت جورنال" (12 نيسان/أبريل 2017) عن أن الأزمة السورية ليست أولوية لإدارته الآن، إنما الأولوية هي لملف كوريا الشمالية.

مما تحاول تفسيره نظريات السياسة في عالم اليوم، وإنما هو موقف أو حدث يتطلب تدبيره رؤى جديدة أيضاً، من قبيل دور الحمق، أو الكذب، أو التضليل، أو الوهم، أو المخيال في السياسات، إذ إنه متداخلٌ مع مُحددات وفواعل كثيرة، رؤى تتقصى الفوضى في قلب النظام، والنظام في قلب الفوضى في عالم اليوم. وبالنسبة لـ ترامب فقد كان ثمة صعوبة في توقع أولوياته وسياساته، ربما بقدر ما كان صعباً توقع فوزه في الانتخابات.

2. الاستعارات القاتلة

يقول ج. لايكوف «إننا نحيا بالاستعارة»، وهذه العبارة هي عنوان أحد كتبه الشهيرة، ذلك أن جزءاً من مداركنا وتجاربنا وسلوكنا "استعاري"، وكذلك هو الأمر مع "نسق القيم" و"التصورات" والخبرات الذهنية والسلوكية. وهكذا فإن الاستعارات نحيا بها فعلاً لأنها "تتحكم في تفكيرنا"[3]، وخاصة منها: استعارات الحرب واللعب، وحتى الجنس التي تستخدم على نطاق واسع في عالم اليوم.

لم يكن التدخل الأمريكي في الأزمة السورية بالسلاح فقط، بل كان بالصورة، والتقنية الرقمية والرمزية، ووسائط الميديا، والحملات الإعلامية، والحرب النفسية، أو: ما يعرف بـ "الحرب الهجينة"، وفي الوقت الذي كانت إدارة أوباما فيه تقول: إنها سوف تقدم مساعدات "غير قاتلة" للجماعات المعارضة، كان قد سبق ذلك تقديم مساعدات فائقة القتل والتدمير، تمثلت بـ هندسة الخطاب والسلوك ليس لجماعات المعارضة السورية فحسب، وإنما لكل فواعل الأزمة السورية أيضاً، وصولاً إلى مدارك واتجاهات الرأي العام حول العالم.

لم يكن التدخل الأمريكي في الأزمة السورية بالسلاح فقط، بل كان بالصورة والتقنية الرقمية والرمزية ووسائط الميديا والحملات الإعلامية والحرب النفسية أو ما يعرف بـ "الحرب الهجينة".

وهكذا فقد كان الإعداد لحادثة خان شيخون "استعارياً" وجزءاً من ديناميات الحرب، ذلك أن تهيئة الذريعة والتعاطي معها بوصفها حدثاً من فعل الخصم، هو فعل قصدي استعاري، وكذلك الأمر بالنسبة لأنماط الاتهام القطعي ورفض التحقيق، ثم تحميل طرف مسؤولية الفعل ومسؤولية ردود الفعل عليه، هو عمل استعاري أيضاً، لكنه من نمط إعلان الحرب، ذلك أن خلق الذرائع والتبرير والتسويق لمدارك معينة، ليس مقدمة للحرب، وإنما هو كشف عن أنها حاصلة بالفعل. هذه هي "الاستعارات القاتلة".

وفي الاستعارات أيضاً، أن "ترامب" يريد أن يعيد "أمريكا قوية ثانية"، وكيف يكون ذلك، أليست مؤشرات الحرب هي أقصر الطرق لتحقيق ذلك الهدف، وأنه (أي ترامب) ليس ألعوبة بيد بوتين. وكيف يكون ذلك، إن لم يعلن الحرب على حليف بوتين (الرئيس بشار الأسد) وعلى خيارات وأولويات بوتين في سورية، ويريد الحفاظ

[3] جورج لايكوف ومارك جونسون، **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة: عبد المجيد جحفة، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2009)، ص21. وجورج لايكوف، **حرب الخليج والاستعارات التي تقتل**، ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2005).

على صورة أمريكا في العالم، وأخلاقيتها، وكيف يكون ذلك، إن لم يكن بالدفاع عن "ضحايا هجوم كيماوي" و"معاقبة الجاني"؟!

وكما يقول ميشيل فوكو –يؤيده في ذلك نعوم تشومسكي– من أن الفواعل والمتلقين يمكن أن يوضعوا ضمن شروط تجعلهم يقبلون أحداثاً وتطورات معينة بوصفها "حقائق" و" لا تحتاج الى برهان"، ذلك لمجرد تناغمها مع شيفرة للاعتقاد مكرسة، جماعية، ومدروسة. وثمة فواعل تنخرط في تعزيز مدارك وتوجهات تصب في خدمة "الاقتصاد السياسي للحقيقة"[4]. وهذا ما يضع استهداف سورية في باب الواجبات!

وما تحاوله الدراسة ليس مجرد استعارات لغوية وتعبيرية وتوظيف دلالات رمزية فحسب، من قبيل "الاستعارات القاتلة"، وإنما "إعادة إنتاج" و"تبيئة أولية" لاستعارات أخرى، مثل: "الثعلب والقنفذ"، و"كعب أخيل"، وغيرها، لينسجم مع متطلبات وأغراض الدراسة. ولو أنها لا تذهب بعيداً في "تأصيل" و"تجذير" ما تفعله، الأمر الذي يتطلب حيزاً بحثياً مختلفاً. والواقع أن الاستعارة قد تطال مفاهيم كاملة أو تامة الدلالة تقريباً من مظانها، وسحبها أو إعادة إدراجها، كلياً أو جزئياً، في سياق مختلف نسبياً.

3. الأنماط التكرارية

مفهوم "الأنماط التكرارية" هو بالأساس مفهوم فيزيائي، وقد سبقت الإشارة إلى بيئته ودلالاته العلمية، وأنه ويتقصّى وجود "أنماط تكرارية" في الظواهر غير المتوقعة أو غير المنضبطة[5]. وقد سبقت الإشارة إلى أنه في قلب الفوضى ثمة نمط من النظام، والعكس صحيح، وهذا هو معنى الحديث عن "الأنماط التكرارية"، لـ المواجهات–المساومات بين الفواعل الدولية، والأهم هنا هو ما ندعوه الأنماط التكرارية في سياسة الولايات المتحدة تجاه الأزمة السورية، وخاصة ما يتصل بادعاء أو اختلاق حوادث مثل: الكيماوي، أو: الاستثمار في حوادث من هذا النوع، بغض النظر عمن قام بها، كما هو الحال في استخدام الجماعات المسلحة للكيماوي في "خان العسل" بريف حلب (19 آذار/مارس 2013)، فقد اهتمت الولايات المتحدة بتثبيت الواقعة وتحديد نوع السلاح المستخدم، ولكنها امتنعت ومارست الضغوط من أجل عدم الكشف عنه، مصرة على اتهام الجيش السوري باستخدام السلاح الكيماوي!

هذا النمط تكرر مراراً في حال كانت الجماعات المسلحة أو مشغلوها هم من استخدم السلاح الكيميائي ضد الجيش السوري، أما استخدامات السلاح افتراضيّاً، أو: فعليّاً، من قبل تلك الجماعات، بقصد اتهام

---

[4] كريستوفر نوريس، **نظرية لا نقدية: ما بعد الحداثة، المثقفون وحرب الخليج**، ترجمة: عابد اسماعيل، (بيروت: دار الكنوز الادبية، ط1، 1999)، ص162. وميشيل فوكو، "تدبير الحقيقة"، **فكر ونقد**، 10 نيسان/أبريل 2017.
http://www.aljabriabed.net/n03_03adelal_tdbir.htm

[5] حول مفهوم "الأنماط التكرارية" في السياسة، انظر: عقيل محفوض، **مفهوم الأمن: مقاربة معرفية إطارية**، دراسة، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2016)، و**الحدث السوري: مقاربة تفكيكية**، دراسة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث والدراسات، 2012)، وفيه محاولة لصياغة أولية للمفهوم في الدراسات والبحوث السياسية.

الجيش السوري أو روسيا به، فعندئذ تكون الولايات المتحدة جاهزة، إن لم تكن هي من أعد للأمر، أو: أنه تم تحت ناظريها، لتوجيه الاتهامات وممارسة الضغوط على سورية وحلفائها، بقصد تحقيق مكاسب سياسية ورمزية.

إنَّ الحديث عن استخدام الجيش السوري للسلاح الكيماوي ضد أهداف "غير مسلحة"، وترويج هذا الادعاء من قبل الغرب، من دون تحقيق مستقل ومن دون أدلة[6]، يعزز التقديرات بأن الحوادث –ومنها حادثة خان شيخون– تم الإعداد لها من قِبَلِ هذا الغربِ نفسه أو تحت ناظريه وبرعايته، وهذا يعني أنها (حادثة خان شيخون) تم الإعداد لها كمقدمة لما بعدها، وهو ممارسة الضغوط على سورية وحلفائها من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية أو رمزية، هذا على غرار حادثة الغوطة بريف دمشق (21 آب/أغسطس 2013).

لكن الأنماط التكرارية أبعد من ذلك، إذ ثمة أنماط تكرارية على مستوى الظروف والخطوات المهيئة للحرب، وقد كانت أسلحة الدمار الشامل ذريعة لحصار العراق، ثم احتلاله وتدميره من قبل "التحالف" الذي ضم الولايات المتحدة وبريطانيا وبمشاركة فواعل أو توابع ذيلية أخرى[7].

هذا إلى أنَّ الأنماط التكرارية في إعداد الذرائع للحرب كانت في ليبيا، وقد كرر الروس أنهم تعلموا جيداً من درس ليبيا، ولذا فإنهم لن يُمكِّنوا الغرب من تكراره في سورية. وقد لمس الروس وحلفاء سورية الآخرون أن الغرب وحلفاءَه في المنطقة يريدون سحب تجربة "شيطنة" و"تأثيم" و"اختلاق الذرائع" تجاه الرئيس معمر القذافي والجيش الليبي، وصولاً إلى الرئيس بشار الأسد والجيش السوري، وأنَّ ادعاء/ذريعة خان شيخون هو مجرد خطوة أخرى في هذا المسلسل المتعثر حتى الآن. وقد عبر المتحدث الرئاسي الروسي "ديمتري بيسكوف" قائلاً: «إنَّ طرح مسألة تخلي روسيا عن دعم الرئيس السوري بشار الأسد أمر سخيف يعادل الدعوات إلى السماح للإرهابيين بالتقدم ضد السلطات الشرعية في سورية»، ذلك أن الأهم بالنسبة لروسيا هو أولاً، "مكافحة "داعش"، وثانياً، "إيجاد تسوية سياسية للأزمة السورية، وليس اللجوء إلى استخدام القوة"[8].

---

[6] جرى حديث كثير قبل ذلك عن هجمات بالسلاح الكيماوي ولكن من دون أن يلتفت الغرب له كثيراً.

[7] وقد تحدث وزير الخارجية الروسي "سيرغي لافروف" في مؤتمر صحفي عقده في طشقند (أوزبكستان) عن الاعتداء الأمريكي على قاعدة الشعيرات قائلاً «إنَّ "هذا عمل من أعمال العدوان يستندُ إلى ذريعة مختلقة... ويذكرني بالموقف في 2003 حينما هاجمت الولايات المتحدة وبريطانيا مع بعض حلفائهما العراق». "لافروف: هذا الوضع يذكرنا بعام 2003 في العراق"، **روسيا اليوم**، 7 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/PWOIsp

[8] "الكرملين: الدعوات لوقف دعم الأسد تعادل وقف محاربة الإرهاب"، **روسيا اليوم**، 12 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/5P1AS4

ثانياً- سورية والولايات المتحدة: العلاقة المستحيلة

ربما كان "التفاهم" الوحيد شبه المستقر بين سورية والولايات المتحدة هو حول صعوبة (شبه استحالة!) التوصل إلى تفاهم مستقر. وقد نظرت الأخيرة إلى سورية نظرة ريبة، وعدّتها في معظم تاريخها المعاصر مصدر تهديد لسياساتها، وحَكَمَت العلاقات البينية سياسات احتواء وتدبير للمصالح والتناقضات، مالت غالباً لبراغماتية متفاوتة بين تعاون دون التحالف وصراع دون الحرب!

غير أن ذلك هو في ظاهر الأمور، أما الأساس العميق فهو العداء، وقد قالت الرئاسة السورية في بيان (7 نيسان/أبريل 2017): إن «ما قامت به أميركا، ما هو إلا تصرّفٌ أرعنُ غير مسؤول»، وأكدت أن استهداف «دولة ذات سيادة يوضح أن تعاقب الإدارات لهذا النظام لا يغيّر من السياسات العميقة لكيانه»[9]. ويمكن الحديث – ولو أن في ذلك شيء من التعميم والإطلاق– عن "جوهرانية" ما للعداء أو استمراريته، بالأحرى الطبيعة الخاصة من العداء التي لم تمنع من وجود حالة من "التكيف" أو "التعايش" مع حالة حرجة لم يكن من سبيل للتخلص منها، حتى الآن.

وقد تحولت العلاقات من منظور واشنطن من سياسات "تغيير سلوك النظام" التي برزت في أعقاب حرب الاحتلال الأمريكي للعراق (2003)، إلى سياسات "تغيير النظام" التي برزت في أعقاب حرب تموز/يوليو بين حزب الله وإسرائيل (2006)، ولكنها لم تتول الانخراط المباشر والتام في العملية، وأرادت أن تفعل ذلك بنوع من "الحرب بالوكالة" أو ما يعرف بـ "الحرب الهجينة"[10].

وهكذا فإن الاعتداء المباشر على سورية ليس جديداً، ذلك أن الولايات المتحدة تدعم الجماعات المسلحة في غرف عمليات في: تركيا، والأردن، وفلسطين المحتلة، وتمدها بالمال والسلاح والمقاتلين، وتنشر قوات وتقيم قواعد عسكرية ومطارات في الشمال والشرق، وترعى التوغل التركي في الشمال. وتنسق جهود فواعل عديدة مناهضة للحكومة السورية. وقد سبق للولايات المتحدة أن أعلنت عن فشل جهودها في قيام انقلاب عسكري أو خلق حالات انشقاقٍ لكبار الضباط في الجيش والمؤسسة الأمنية وغيرها، لأنها "لم تجد مواطن ضعف تذكر يمكن استغلالها"[11]. كل ذلك لم يكن ظاهراً مقارنة بالجلبةِ والصخبِ اللذين أحدثهما اعتداؤها المباشر على قاعدة

الاعتداء المباشر على سورية ليس جديداً، ذلك أن الولايات المتحدة تدعم الجماعات المسلحة في غرف عمليات في تركيا والأردن وفلسطين المحتلة، وتمدها بالمال والسلاح والمقاتلين.

[9] بيان الرئاسة السورية، (7 نيسان/أبريل 2017).

[10] عقيل سعيد محفوض، **خط الصدع: في مدارك وسياسات الأزمة السورية**، دراسة، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).

[11] "أمريكا أجرت اتصالات سرية مع الحكومة السورية"، **رويترز**، 24كانون الأول/نوفمبر 2015.
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0U718E20151224

الشعيرات الجوية، وبدا الاعتداء المذكور كما لو أنه أول تدخل عسكري مباشر ضد سورية في أزمتها الممتدة منذ آذار/مارس 2011.

تغيرت أنماط التورط الأمريكي في الأزمة منذ آذار/مارس 2011، ليس بالإحلال وإنما الإضافة، أي ليس بإحلال نمط محل الآخر، وإنما بالإضافة إليه، إذ تواصلت الضغوط ودعم العمليات الرامية لـ "إسقاط النظام"، وزادت التورط العسكري، وتولت بشكل متزايد القيام بمهام مباشرة عندما وجدت أن النمط بالوكالة لم يحقق الأهداف المرجوة، وعندما وجدت أن روسيا وإيران مكنتا دمشق من مواجهة الاستهداف المُرَكَّز والمتواصل الهادف لإسقاطها.

لم تقف الولايات المتحدة عند أنماط التدخل أو التورط المذكورة، بل أقامت حتى الآن (7) قواعد عسكرية ومطارات عسكرية في غير مكان من شمال سورية، ومن المتوقع أن تزيد الولايات المتحدة –بالتعاون مع القوات الكردية– في عدد القواعد وفي طبيعتها واستعداداتها. والقواعد المشار إليها هي:

- قاعدة الرميلان، وتقع في مطار "رميلان" شرق مدينة "القامشلي" الحدودية، وهي من أولى القواعد العسكرية الأميركية المعروفة في سورية.
- قاعدة "المبروكة" قرب قرية بالاسم نفسه غرب مدينة القامشلي.
- قاعدة الجلبية المعروفة باسم "خراب عشق" غرب بلدة "عين عيسى".
- قاعدة "عين عيسى" وتقع في محيط المدينة نفسها، وهي من أكبر القواعد الأمريكية في شمال سورية مساحة.
- قاعدة مطار روباريا، قرب مدينة عين العرب بريف حلب الشمالي.
- قاعدة "تل حجر" قرب منطقة بالاسم نفسه، شمال محافظة الحسكة.
- قاعدة تل أبيض، في مدينة "تل أبيض" على الحدود السورية التركية.
- بالإضافة إلى قواعد عسكرية بريطانية وألمانية في البادية قرب مثلث الحدود بين: سورية، والأردن، والعراق، وثمة وجود عسكري فرنسي.

وواصلت الولايات المتحدة مسعاها لأن يكون التدخل المباشر والكبير تحت لواء الأمم المتحدة وبغطاء منها كما فعلت في ليبيا. وقد استخدمت روسيا حق النقض الفيتو (8) مرات، كان آخرها (12-4-2017)، وهذا مؤشر على حجم الرهان من قبل الولايات المتحدة على تمرير قرارات في مجلس الأمن، تكون غطاء أممياً لاستهداف سورية، في مقابل الإصرار من قبل روسيا على إعاقة أو احتواء أي مسعى من هذا النوع.

ثالثاً- هيّا نضرب كيماوياً!

العنوان ليس دعوة لاستخدام السلاح الكيماوي، وإنما يأتي من باب المفارقة، وسوف أبين مصدر هذه الاستعارة غير المطمئنة ولكن المعبرة في آن، فقد كتب الروائي البرتغالي ألفونسو كروش نصاً جميلاً بعنوان "هيا نشتر شاعراً"[12]، فيه قدر كبير من التهكم على أنماط المدارك والعيش في عالم العولمة التي "شَيَّأت" كل شيء تقريباً، وجعلت منه سلعةً أو أداةً، وهي أن "شراء الشاعر" مثلاً أفضل من "شراء" النّحات أو الرّسام، لأنه لا يُخَلِّفُ وراءَه سوى القليل من "النفايات"، مقارنة بأولئك الذين يُخلِّفون الكثير منها (الخشب والأحجار والأوراق والألوان وغيرها).

تحيل الاستعارة "هيا نضرب كيماوياً"، أو "هيا نختلق كيماوياً"، من ثم "نتخذه ذريعة"، والهدف هو تحقيق مكاسب سياسية ورمزية تمهد لخطوات عسكرية لاحقاً، وبأقل قدر من الجهود والتبعات. وحيث إن الادعاء إذ يتم تبنيه يحل محل الواقع أو هو ينتج واقعاً، كما لو أنه حقيقة. وقد خَبِرَ الغربُ وخصوم سورية الآخرون ذلك، عندما حققوا مكاسب كبيرة نسبياً في الحرب السورية، باستخدام الميديا التي أمكنها أن تختلق واقعاً افتراضياً تحول سريعاً إلى واقع مادي[13].

كما أن الاتهام/الاختلاق/الذريعة يمكن أن يساعد في تحقيق تحوّل سريع نسبياً في المواقف أو الوقائع، ليتم بعد ذلك التفاوض على الوضع الجديد، أو على موضوع آخر، كأن يتم الضغط في سورية للتفاوض في أوكرانيا، أو الضغط في ريف حماه للتفاوض في ريف حلب، كما يساعد في التعجيل بالتحولات، بقدر أقل من "البقايا" ومن "الوقت".

وهكذا كانت ترتيبات حادثة الغوطة بريف دمشق (21 آب/أغسطس 2013)، التي أدت إلى تدمير السلاح الكيماوي السوري (قرار مجلس الأمن 2118)، ومثل ذلك ترتيب/اختلاق حادثة خان شيخون (4 نيسان/أبريل 2017)، والتي أعقبها الاعتداء الأمريكي على قاعدة الشعيرات الجوية (7 نيسان/أبريل 2017)، والتهديد باعتداءات أخرى، وقد يحدث ذلك، ريثما يتم التوصل إلى تسوية ما تضمن وضعاً جديداً. هنا يبدو "شراء" الحادثة، أو الإعداد لها، من أجل التذرع بها، مفيداً للفاعل، ذلك أن التكاليف أقل والمردود أكبر.

---

[12] ألفونسو كروش، **هيا نشتر شاعراً**، ترجمة: عبد الجليل العربي، (تونس: دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، 2017).

[13] عقيل سعيد محفوض، **الحدث السوري: مقاربة تفكيكية**، دراسة، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012). **وخط الصدع: في مدارك وسياسات الأزمة السورية**، مصدر سابق؛ **ومفهوم الأمن: مقاربة معرفية إطارية**، دراسة، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، 2016).

وهكذا كانت التغطيةُ الإعلامية والسياسية لحادثة "خان شيخون"، وتظهيرُ المقاطع والصور وغيرها مُعدَّة بعناية فائقة، وكذلك الأمر بالنسبة للاتهامات والمواقف السياسية، ما يحيل إلى جهة/جهات الاستهداف وإلى المدبر في آن، وعلى قولة المثل "يكاد المُريب أن يقول خذوني".

قد يكون من المناسب القول: "هيا نسعى لأوسكار آخر"، وهو ما حصل بالفعل، ذلك أن الإعداد للحادثة أو الادعاء بحدوثها، وإن بدا مكشوفاً، إلا أنه ربما حقق هدفه بأن أظهر للعالم أنَّ الواقعَ الافتراضيَّ أو المُختَلَقَ أو المُعَدَّ له هو حاضرٌ و"متعيّن" و"حقيقي" أكثر من الواقع الفعلي. ومن الممكن أن يجد الرئيس بشار الأسد نفسه يوجه التهنئة مرة أخرى للإرهابي محمد الجولاني على فوز تنظيم "جبهة النصرة" الإرهابي بأوسكار ثان[14]، ولكن بالمشاركة مع الرئيس "ترامب" وإدارته، مع يقينه أن الاستخبارات الأمريكية والتركية هي المُعدّ ومسؤول الإنتاج والتوزيع، وقد وصف الرئيس الأسد حادثة خان شيخون، قائلاً: «انطباعنا هو أن الغرب وخاصة الولايات المتحدة متواطئون مع الإرهابيين، وقاموا بفبركة كل هذه القصة كي تكون لديهم ذريعة لشن الهجوم» على قاعدة الشعيرات الجوية في ريف حمص[15]. وكان على العالم أن يقرأ ما كشفت عنه التحقيقات حول حادثة الكيماوي في الغوطة بريف دمشق، وخاصة تحقيقات الصحفي الشهير "سيمور هيرش" التي أظهرت أن الحادثة مُفبركة من قِبَل الاستخبارات التركية وشركائها[16].

إنَّ خطورة اتخاذ الكيماوي ذريعة، بناء على وقائع مختلقة، أو: مُعَدٍّ لها، أو: حتى وقائع فعلية، ولكنها منسوبة لطرف بعينه دون الآخر، وعادة ما يكون المتهم –أمريكياً وغربياً– هو الحكومة السورية، هو ما حَدَا بنائب وزير الخارجية السورية لأن يعلن يوم حادثة "خان شيخون" أن الحكومة السورية حذرت الأمم المتحدة من أن الجماعات المسلحة ربما تخطط لأعمال إرهابية باستخدام السلاح الكيميائي، قائلاً: «أعطينا معلومات عن إدخال النصرة لمواد سامة إلى سوريا وتخزينها للقيام بهذا العمل»، وأضاف «أن الجيش السوري لا يملك أسلحة كيميائية وهو لم يستخدم يوماً أسلحة كهذه»، مؤكداً أن بلاده «نفّذت كل التزاماتها تجاه منظمة حظر

خطورة اتخاذ الكيماوي ذريعة، بناء على وقائع مختلقة أو مُعَدّ لها أو حتى وقائع فعلية ولكنها منسوبة لطرف بعينه دون الآخر، وعادة ما يكون المتهم –أمريكياً وغربياً– هو الحكومة السورية.

[14] قال الرئيس بشار الأسد في لقاء مع قناة **فينيكس** الصينية (11 آذار/مارس 2017): «علينا أن نهنئ جبهة النصرة على حصولها على أول أوسكار، هذا حدث غير مسبوق في الغرب، أن يتم منح القاعدة جائزة أوسكار، أمر لا يصدق».

[15] حوار الرئيس بشار الأسد مع وكالة **فرانس برس**، 14 نيسان/أبريل 2017.

[16] سيمور هيرش، "من استعمل الأسلحة الكيميائية في سورية؟ دور أوباما وأردوغان والمتمردين السوريين: الخط الأحمر وخط الجرذان"، **المستقبل العربي**، العدد 423، أيار/مايو 2014، ص126-137. والنص الأصلي في:

Seymour M. Hersh, "The Red Line and the Rat Line: on Obama, Erdoğan and the Syrian Rebels", *London Review of Books*, vol. 36 no. 8, (17 April 2014), http://www.lrb.co.uk/v36/n08/seymour-m-hersh/the-red-line-and-the-rat-line

الأسلحة الكيميائية والمنظمة اعترفت بذلك»، كما عَدَّ أن «انتصار حلب وانجازات الجيش السوري في محيط دمشق وحماة وراء الهجمة التي نشهدها»[17].

ولكن التحذير أو الإبلاغ لم يغير شيئاً في التقديرات والاتهامات، بل إن المبعوث الدولي "استيفان دي مستورا" الذي يفترض أنه تبلغ بما قاله "فيصل المقداد"، صرح أن الهجوم "نفذ من الجو"، ما يعني أن المنفذ إما الطائرات السورية أو الروسية. ولم يبين "دي مستورا" كيف تمكن من تحديد طبيعة الهجوم قبل القيام بأي تحقيق.

هذا يحيلنا إلى مستوى آخر من "لعبة الكيماوي"، وهو "هيا نتحدث عن الكيماوي" ونستبق اختلاق حادثة جديدة عن الكيماوي. وقد عبر الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" عن رؤية استباقية ومدارك تهديد عالية بهذا الخصوص، عندما حذر (11 نيسان/أبريل 2017) من "استفزازات" بشأن استخدام السلاح الكيماوي يتم الإعداد لها في غير مكان من سورية للادعاء بأن الجيش السوري هو من استخدمها[18]، تمهيداً لاستهدافات أمريكية وغربية وإقليمية جديدة ضد سورية. ويحيل تحذير "الرئيس بوتين" إلى قناعة روسيا بأن حادثة خان شيخون مدبرة، وأن الفاعل أو الفواعل المدبرة بصدد الإعداد لحلقة اعتداء جديدة.

[17] "المقداد للميادين: قدمّنا معلومات عن إدخال "النصرة" مواد سامة للقيام بهجوم كيماوي"، **الميادين**، 7 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/wjFTuz

[18] "بوتين يحذر من استفزازات كيماوية بسوريا"، **روسيا اليوم**، 11 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/AJgCcm

رابعاً- عبء ترامب

يمكن الحديث عن "عبء ترامب"، على غرار "عبء الرجل الأبيض" تلك المقولة التي أدت إلى إبادة مئات الآلاف بل الملايين من السكان الأصليين في العوالم التي غزاها الأوربيون منذ قرون عدّة[19]. وجاء الاعتداء الأمريكي على قاعدة الشعيرات، والتداعيات اللاحقة، استجابة لعوامل وفواعل مركبة لها صلة بـ "العبء" أو "الوهم" أو "الادعاء" المذكور، الأمر الذي وضع "ترامب" وعصبة صنع القرار في إدارته تحت تأثير ضغوط إدراكية ومخيالية عاجلة، فهو بحاجة لأن يباشر وُعُودَه الانتخابية بإعادة أمريكا إلى مجدها السابق، ربما بوصفها "شُرَطِيَّ العالمِ". ومن هذا المنظور كان لابد من اتخاذ إجراء عاجل بعد حادثة "خان شيخون" التي مثلت "فرصة سانحة" لوقف تدهور صورته أمام جمهوره وحلفاء بلاده وتوابعها. وهكذا فإن "ترامب" بحاجة لهذه الخطوة، من أجل تحقيق أهداف عدّة يمكن تركيزها في النقاط الرئيسة التالية:

يمكن الحديث عن "عبء ترامب"، على غرار "عبء الرجل الأبيض" تلك المقولة التي أدت إلى إبادة مئات الآلاف بل الملايين من السكان الأصليين في العوالم التي غزاها الأوربيون منذ قرون عدّة

- استجابة لتقديرات "الدولة العميقة" ومخاوفها وديناميات صنع القرار في الولايات المتحدة، التي بقيت على عدائها لروسيا وإيران وسورية، وهي لم تكن راضية بالأساس عن التفاهمات بين "أوباما" و"بوتين" حول الحدث السوري، وكانت ظهرت خلافات حادة داخل إدارة "أوباما" استقال على إثرها عدد من المسؤولين الكبار في الإدارة المذكورة على خلفية الأزمة.
- إشغال الرأي العام عن إخفاقات ترامب الداخلية المتكررة، وما يشبه التمرد الداخلي في العديد من المؤسسات الفدرالية، وفشل موقفه/مشروعه حول الضمان الصحي المعروف بـ "أوباما كير"، وتدني شعبيته بشكل كبير، والشكوك حول أهليته لأن يكون رئيساً للولايات المتحدة.
- تحريك الذراع العسكرية بوصفها أحد أعمدة قوة أمريكا. وكان "ترامب" وعد بأن يعيد أمريكا قوية ثانيةً. ويبدو أن "الدولة العميقة" تواصِل أجندتها الخاصة بـ روسيا وغيرها بكيفية مختلفة عن أولويات "ترامب" نفسه، وربما بما يخالف التوقعات من خطابه السياسي. كما يبدو أن الولايات المتحدة لا تزال تعيش ذهنية الحرب الباردة، ولو أنها لا تزال بعيدة نسبياً عن "مكارثية جديدة" لمناهضة روسيا[20].
- يقول "ترامب" للرأي العام: إنَّ علاقته مع روسيا لم تضعفه، وإن علاقته ببوتين ليست ذيلية أو استتباعية، وإن الأخير لم يتدخل لمساعدته في الانتخابات. وقد انشغل الرأي العام وفواعل صنع السياسة في الولايات المتحدة (وغير مكان من العالم) بطبيعة العلاقة "الملتبسة" أو "الخفية" مع

---

[19] منير العكش، **حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية**، (بيروت: دار الريس للكتب والنشر، ط1، 2002)، ونعوم تشومسكي، **سنة 501 الغزو مستمر**، ترجمة: مي النهان، (دمشق: دار المدى، ط1، 1996). تزفيتان تودوروف، **الأمل والذاكرة: خلاصة القرن العشرين**، ترجمة: نرمين العمري، (الرياض: العبيكان، ط1، 2006).

[20] "مكارثية" مطاردة الساحرات وأشباح روسيا في أمريكا!"، **روسيا اليوم**، 4 آذار/مارس 2017. https://goo.gl/A8F6sC، و"أميركا تعِدّ استراتيجية "حازمة" وروسيا تسخر من "مكارثية""، **الحياة**، 4 آذار/مارس 2017. https://goo.gl/yNp2Ws

موسكو، وما إذا كان ثمة دليل على أن موسكو تدخَّلت بكيفية ما لصالحه في مسار الانتخابات الرئاسية في مواجهة "هيلاري كلينتون".

- "إعادة التوازن" لموقع وصورة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط (والعالم)، وخاصة مع تزايد الانتقادات الأوربية لتراجع دور أمريكا وضعفها وتضاؤل وزنها النسبي في سياسات إدارة الأزمة السورية. وقد أظهرت فرنسا وبريطانيا وأطراف أخرى احتفاءً كبيراً بالاعتداء على "قاعدة الشعيرات"، كما لو أنَّ ذلك إعادة إحياء لمنطق الناتو والحرب الباردة، وعودة الدفء إلى العلاقات الأمريكية-الأوربية. وقد دعا الرئيس الفرنسي "فرانسوا هولاند" إلى ضرب سورية في لحظة "ضعف" الرئيس "بوتين" وانشغال إيران بالانتخابات، وقال "هولاند": إنَّ "عدم وجود رد فعل روسي على الضربة الصاروخية الأميركية على "مطار الشعيرات"، يدل على أنّ مواقف الرئيس الروسي "فلاديمير بوتين" باتت ضعيفة"، عادّاً أن الرئيس السوري بشار الأسد "بات دون حماية"[21].
- جاء الموقف الأمريكي بعد موجة مطالب إسرائيلية وتركية وخليجية بـ "إخراج" إيران وحزب الله من سورية. ولم يرشح الكثير عن نتائج زيارة نتنياهو لموسكو ولقائه الرئيس بوتين (9 نيسان/أبريل 2017) إذ قدم مطالب بهذا الخصوص، وكان من المتوقع أن تظهرَ نتائجُ أو توافقاتُ زيارتهِ قبلها إلى واشنطن ولقائه الرئيس "ترامب" (12 شباط/فبراير 2017)، حيث سبق أن قدم المطالب نفسها، ولكن لم يكن من السهل توقع الكيفية التي سوف تتظهر فيها تلك التفاهمات بين "نتنياهو" و"ترامب".
- توجيه رسائل لروسيا وإيران، من أن "إدارة ترامب" جاهزة لمباشرة السياسات التي تحفظ مصالحها ومصالح حلفائها في سورية، وأنهما ليستا الوحيدتين اللتين تدعمان حليفهما. كانت برزت تقديرات أو انتقادات كثيرة لواشنطن من حلفائها؛ بسبب أنها تركت سورية لروسيا وتخلت عن حلفائها الذين حاولوا "إغواءَها" بكل ما هو ممكن من أجل التدخل العسكري المباشر لإسقاط النظام في دمشق، وقيل: إنَّ دول الخليج تكفلت بتغطية تكاليف العمل العسكري المطلوب[22]، على غرار ما فعلت في ليبيا، وتَعِدُ مجموعات المعارضة بمنحها (وإسرائيل) امتيازات حصرية فائقة. وكان تردد أوباما أمام تلك الإغراءات أثار الإحباط لدى مناهضي دمشق من: تركيا، والسعودية، وعدد من الدول الأوربية.
- تطمين الحلفاء الدوليين والإقليميين بأن الولايات المتحدة لم تخلِ السَّاحة لروسيا، وأن تحالف سورية المعزز بالقوة الروسية المباشرة، يقابله تحالف أعدائها المعزز بالقوة الأمريكية. وأن الولايات المتحدة تتدخل عندما تجد ذلك ضرورياً، أو: مناسباً، ذلك وفقاً لتقديرات أمريكية. وكانت برزت مخاوف متزايدة، لدى حلفاء الولايات المتحدة التقليديين في أوربا ومنطقة الشرق الأوسط، من تصريحات "ترامب" حول علاقات بلاده الخارجية وتحالفاتها.

---

[21] "هولاند: يجب استغلال "ضعف" بوتين وانشغال إيران بالانتخابات لضرب الأسد"، **الميادين**، 13 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/dGicGe

[22] "هل تدفع دول الخليج ثمن شن هجوم امريكي على سوريا؟"، **القدس**، 3 أيلول/سبتمبر2013.
http://www.alquds.co.uk/?p=80465

- "تخريج" أفكار "ترامب" عن المنطقة الآمنة، وقد كان حديثه عن عزمه إقامة مناطق آمنة "بتمويل خليجي" مثار تقديرات مختلفة[23]، لكنها تراجعت نسبياً مع إبداء روسيا استعدادها للمساعدة في الموضوع شريطة موافقة دمشق، ولربما كانت الموافقة الروسية هي أحد عوامل كبح الخطة أو تغييرها، طالما أن موافقة روسيا ودمشق على الخطة تعني إعادة صياغتها، وبالتالي "تهجينها" أو إفراغها من مضمونها (المناهض لدمشق)، فقد كان من الضروري، أو: من المناسب أن يتم "الخروج على قواعد اللعبة" جزئياً والتلويح بالاستعداد لـ "كسرها" بالقوة العسكرية.

[23] "بتمويل خليجي... ترامب يجدد عزمه إقامة مناطق آمنة في سوريا وجوارها"، **الميادين**، 19 شباط/فبراير، 2017.
https://goo.gl/AOMrK8

وانظر: https://www.youtube.com/watch?v=3iGyRTwrZrg

خامساً- استهداف نقاط القوة-نقاط الضعف

تمت الإشارة في حيز آخر من الدراسة إلى أنَّ ثمة استعاراتٍ كثيرةً تأتي من عالم الحرب إلى عالم السياسة، وسوف تتناول هذه الفِقْرَةُ استعارتين تعبيريتين متعاكستين أو متناقضتين، ولكنهما متوافقتان من حيث الموضوع، ومن حيث منطق السياسة العميق نفسه، وهو على ما يبدو منطق "لا أرسطي" بمعنى من المعاني، أي أن الأصل ليس "عدم التناقض" في الخطاب أو اللغة أو السلوك؛ وإنما في المقتضى المتمثل بـ تحقيق الهدف، و"التناقض" وحتى "الكذب" ليسا عيباً أو عطباً في السياسة، على ما تقول حنة أرندت[24]، ومن بعدها جاك دريدا[25]، بل قد يكونان "فضيلة سياسية" لأنَّ المعيارَ الأساسَ هنا هو الفعَّاليَّةُ وتحقيق المصلحة، وهذه مسألة على درجة كبيرة من الأهمية والحساسية.

الاستعارة الأولى من عالم الأساطير الإغريقية القديمة، تعرف بـ "كعب أخيل"، وتركز على نقاط الضعف لدى الخصم، بوصف ذلك أفضل السبل للانتصار عليه، وضمنها الاستعارة الرئيسة المتضمنة في عنوان الدراسة، وهي إغريقية أيضاً، وتدور حول "الثعلب والقنفذ"، وهي حربية وعسكرية أيضاً، وكذلك فكرة الاحتواء التي قال بها الدبلوماسي الأمريكي "جورج كينان"؛ وأما الاستعارة الثانية فمن عالم الحرب والعسكرة الإغريقي أيضاً، وفق مبدأ منسوب للقائد الكبير الإسكندر المقدوني، وضمنها استعارة رئيسة من عالم الألعاب، لعبة الشطرنج، ولكن أصولها ومنطقها حربيان وعسكريان أيضاً، وهي "كش ملك".

1. كعب أخيل[26]

قدَّرت الولايات المتحدة أن بإمكانها استهداف سورية من أكثر النقاط ضعفاً، وهي "تطييف" الأزمة و"مذهبتها"، ومن باب الادعاء باستخدام أكثر الأسلحة خطورة وهو الكيماوي، واجتمع الأمران في حادثة/ذريعة خان شيخون. وقد سبقت الإشارة إلى أنَّ لدى الولايات المتحدة طيفاً واسعاً من الخيارات والبدائل وأنماط التدخل في الأزمة، أو لنقل أنماط الاستهداف لسورية، تمارسها جميعاً تقريباً، ولكن بشكل متفاوت، فيما كانت سورية تُركِّز في جهودها على دينامية واحدة رئيسة وهي احتواء أو مقاومة تدخلات أمريكا وحلفائها.

---

[24] حنة أرندت، **ما السياسة؟**، ترجمة: زهير الخويلدي وسلمى الحاج مبروك، (الجزائر، الرباط: منشورات ضفاف، دار الأمان، 2014). و**الحقيقة والسياسة**، دراسة، ترجمة: حسين سحبان، (الدار البيضاء: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015).

[25] جاك دريدا، **تاريخ الكذب**: مقدمة، ترجمة: رشيد بازي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2016).

[26] كعب أخيل أو عقب أخيل، هو تعبير يشير إلى نقطة ضعف مميتة على الرغم من كل القوة التي يمتلكها الشخص، والتي إن أصيبت تؤدي إلى السقوط أو الموت. ويعود أصل التعبير الميثولوجيا الإغريقية، وتحكي الأسطورة أن أخيل الطفل عمدته أمه ثيتس بماء نهر ستيكس المقدس، الذي أعطاه القوة، لكن بما أن الأم كانت تحمل الطفل من كعب قدمه أثناء غسله في النهر، لم يصل الماء المقدس إلى كعبه. وهكذا فإن أخيل الذي أصبح قائداً كبيراً، لم يمكن النيل منه إلا عندما أصابه سهم مسموم في كعب قدمه، متسبباً في مقتله.

قد يكون من المفيد إدراج استعارة أخرى، نأخذها هذه المرة من الكاتب أشعيا (إيزايا) برلين، الذي كتب نصاً بعنوان "الثعلب والقنفذ: مقالة في نظرة تولستوي للتاريخ"، أورد فيها حكاية قصيرة جداً عن "الثعلب والقنفذ" والتي استعارها بدوره من الشاعر اليوناني القديم أرخيلخوس[27]، حيث للثعلب طرق عديدة في محاولة الإيقاع بالقنفذ، فيما للأخير طريقة واحدة في الدفاع عن نفسه، وهي أشواكه، وفي كل مرة يرتد الثعلب خائباً مع عدد من الأشواك العالقة بأنفه.

قدَّرت الولايات المتحدة أن بإمكانها استهداف سورية من أكثر النقاط ضعفاً، وهي "تطييف" الأزمة و"مذهبتها"، ومن باب الادعاء باستخدام أكثر الأسلحة خطورة وهو الكيماوي، واجتمع الأمران في حادثة/ذريعة خان شيخون.

المقصود من الاستعارة هنا هو تعدد وتنوع الخيارات لدى أحد الأطراف، وتمركز الخيارات لدى الآخر في طريقة رئيسة واحدة تقريباً، ولكنها ناجعة. برلين نفسه يتحدث في رسالة موجهة إلى جورج كينان (1904-2005)، المسؤول الأمريكي صاحب الفكرة الشيطانية عن احتواء الاتحاد السُّوفياتي، يثمن فيها فكرته عن مواجهة الخصم أو احتوائه بالتركيز على أكثر النقاط ضعفاً لديه، أي: البحث عما يشبه "كعب أخيل"[28]. على قاعدة: ماذا لو أمكن للثعلب أن يعرف النقطة الأكثر ضعفاً لدى القنفذ؟

2. كش ملك!

في المقلب الآخر، يبدو الاعتداء نوعاً من استراتيجية مُعاكسة، وهي استهداف الخصم في أكثر نقاطه قوة، وهو مبدأ عسكري منسوب للقائد العظيم الإسكندر المقدوني، حيث يكون استهداف أكثر النقاط قوة لدى الخصم كفيلاً بانهياره بشكل كلي. ومن الواضح أن النظام السياسي في سورية يمثل حلقة الوصل أو "واسطة العقد" في تحالف المقاومة المدعوم من روسيا، إذ يصعب أن نعد روسيا جزءاً من الحلف، كما يصعب أن نعدها خارجه، ولو أنها في حسابات الأزمة السورية تكاد أن تكون عضواً فاعلاً ومقرراً في الكثير من الأمور، نظراً لدورها ووزنها العسكري والسياسي والرمزي في النظام العالمي الراهن.

صحيح أن اللعبة الإقليمية والدولية أكثر تعقيداً من لعبة الشطرنج، إلا أن تعبير "كش ملك" ليس مجرد استعارة لفظية، ذلك أن منطق المواجهة ربما يتجه لاستهداف الحلقة الأقوى أو النقطة التي تتمفصل فيها أو تلتقي حولها مختلف فواعل الأزمة، حيث يكون "كسر" تلك الحلقة هو الخطوة الحاسمة في تغيير المشهد كله تقريباً. ويكون المستهدف من كل ذلك هو كلّ من: روسيا، وإيران، وسورية، بالإضافة إلى حزب الله.

---

[27] أشعيا برلين، **الثعلب والقنفذ: مقالة في نظرة تولستوي إلى التاريخ**، نشرها أول مرة في عام 1953، وأُعيد نشرها مراراً.

[28] إيزايا بيرلن، **الحرية**، إعداد هنري هاردي، ترجمة: معين الإمام، (مسقط: دار الكتاب، 2015)، ص429 وما بعد.

- روسيا لجهة خلخلة مداركها حول مصادر التهديد الأعلى، بمعنى: تجاوز كل الحدود النمطية المعروفة لديها، بحيث يأتي الاعتداء صادماً ويتجاوز كل التوقعات.
- سورية لجهة استهداف القوة الجوية السورية الذراع الرئيس في الحرب الراهنة، ضد الميليشيات المسلحة الموالية لأمريكا وتركيا وغيرهما.
- محاولة هز ثقة السوريين بحليفهم الروسي، وبرزت تساؤلات متزايدة حول الموقف الفعلي لروسيا، ولماذا لم تبادر الدفاعات الروسية لإسقاط الصواريخ الأمريكية[29]، ولماذا، لماذا؟ وخاصة أن ثمة تقديرات بأن روسيا "تتحالف" مع إسرائيل أيضاً، وتترك قوات حزب الله حليفها الميداني في الحرب عرضةً للاعتداءات الإسرائيلية من دون أن تقدم الدعم الذي يجب أن يقدمه الحليف لحليفه، هنا تبدو روسيا حليفاً لخصمين أو عدوين يتواجهان في الساحة السورية.
- إيران لجهة استهداف حليف رئيس لها في المنطقة ومحاولة كسر "حلف المقاومة" في حلقته السورية، ووضع إيران في حالة إرباك من جهتين: الأولى، هي أنَّ ردة فعل قوية أو عنيفة ضد العدوان سوف تعطي مبرراً أكبر لـ "ترامب" وحلفائه للمزيد من الاستهداف لسورية، بذريعة احتواء نفوذ إيران في المنطقة؛ والثانية، هي أنَّ ردةَ فعلٍ ضعيفة سوف تثير أسئلة لدى فواعل السياسة والرأي في سورية ومجتمع المقاومة في المنطقة.
- حزب الله، لجهة تضييق دائرة الاستهداف ليس لحليفه الرئيس وهو الجيش السوري، وليس لدوره الإقليمي فحسب، وإنما لقواته وكوادره بصورة مباشرة، ومن المحتمل أن تزيد دائرة الاستهداف والتضييق على الحزب وبيئته ومجتمعه وفواعله والمؤيدين له في لبنان والمنطقة والعالم.

[29] نقلت وكالة **سبوتنيك** عن صحيفة صحيفة "نيزافيسيميا غازيتا" الروسية أن الطائرات الروسية هي التي أسقطت عدداً من صواريخ توماهوك التي أطلقت على مواقع سورية فجر 7 نيسان/أبريل 2017. علماً أن واشنطن أعلنت أنها أطلقت 59 صاروخاً وصل منها 23 أي أن 36 صاروخاً لم يصلوا. **سبوتنيك**، 11 نيسان/أبريل 2017. أو أنها ربما استخدمت نظم التعمية الإلكترونية، انظر: "خبير ألماني يكشف عما حصل للصواريخ الأمريكية المتجهة إلى "الشعيرات"، **روسيا اليوم**، 10 نيسان/أبريل2017.
https://goo.gl/06eknp

سادساً- تطورات كاشفة؟

ليس قرار الاعتداء على سورية ابن لحظته ولا هو مرتبط بحادثة "خان شيخون" ارتباط النتيجة بالسبب، وأرجو أن يقبل القارئ مني قراءة معاكسة، وهي أن حادثة "خان شيخون" هي نتيجة لقرار الاعتداء على سورية، ولن يجد أحد صعوبة تذكر في فهم أنَّ الحادثةَ تدبيرٌ لذريعة الاعتداء نفسه. ثم يصبح الاعتداء ذريعة لاعتداءات أخرى، تصدر الواحدة منها عن الأخرى، أو معها، بحيث يغيب الفعل الأصلي، أو يصبح التدقيق في شرعيته أمراً بلا معنى أو بلا فائدة تقريباً.

إذا قبل المتلقي القراءة السابقة ووجدها ممكنة، أو: معقولة، أو: مقبولة، بمنطق الحدث السوري اليوم، فلن يجد صعوبة في تلقي جوانب أخرى كشف عنها الاعتداء نفسه، يمكن أن نوردها باختصار في النقاط الرئيسة التالية:

> **حادثة خان شيخون هي نتيجة لقرار الاعتداء على سورية، وهي تدبير لذريعة الاعتداء نفسه. ثم يصبح الاعتداء ذريعة لاعتداءات أخرى.**

- الثابت والمتغير، أو: الحقيقي والوهمي، في الموقف الأمريكي من الأزمة السورية، ذلك أن الموقف ضد سورية أو سياساتها الحاكمة عميق و"متجذر" ولم يتغير كثيراً بتغير رؤساء أو أحزاب أو أشخاص. وهكذا فإن العداء هو الأصل والثابت والحقيقي أو هو المُحكم بلغة الفقهاء، وما عدا ذلك فهو متغير ووهمي أو مُتشابَه، وهكذا فـ "المحكم" في الموقف الأمريكي هو دعم المجموعات المسلحة واحتواء سورية وتفكيك حلفها والتضييق عليها وإسقاط النظام فيها، وأما "المتشابَه" فهو: الحديث عن تسوية سياسية، ومحاربة الإرهاب، والدفاع عن حقوق الشعب السوري، إلخ.
- مدى التفاهمات الروسية-الأمريكية، وربما كانت تقديرات الدولة العميقة أو عصبة صنع القرار في واشنطن، هو أن الأخيرة "انحنت" أمام "عاصفة السوخوي" في سورية ولم تناهض بصورة مباشرة الدور العسكري الروسي في سورية، حتى مع إدراكها أن ذلك الدور أضرَّ بخطط واشنطن في سورية، وهكذا فقد حان الوقت –من هذا المنظور– لأن "تنحني" موسكو بعض الشيء لـ "عاصفة التوماهوك" أيضاً، وهو ما حدث بالفعل أو بالأحرى ما ظهر أنه حدث، لكن الروس قالوا: إنهم سوف يعززون بشكل عاجل الدفاعات الجوية السورية، وخاصة الدفاعات ضد الصواريخ. وبعد ذلك جاء بيان غرفة العمليات المشتركة لقوات حلفاء سورية (تضم: روسيا، وإيران، وقوات حزب الله، والقوات الرديفة الأخرى) حاسماً في هذا الباب، قال «إن ما قامت به أميركا من عدوان على سورية هو تجاوز للخطوط الحمراء، فمن الآن وصاعداً سنرد بقوة على أي عدوان وأي تجاوز للخطوط الحمراء من قبل أي كان، وأميركا تعلم قدراتنا على الرد جيداً». وأضاف: «رداً على هذا العدوان المجرم، نحن كحلفاء سورية سنزيد من دعمنا للجيش العربي السوري، والشعب السوري الشقيق بمختلف الطرق»[30].

[30] "بيان حلفاء سوريا: أميركا تجاوزت الخطوط الحمراء وسنواجهها بكل قوة ولو بلغ ما بلغ"، **الميادين**، 9 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/PxJTBn

- طبيعة "الدولة العميقة" وديناميات صنع القرار، كان ثمة تجاذبات كثيرة داخل "إدارة أوباما"، لكنه كان يُفضِّل تدخلاً من طبيعة مختلفة، وكانت "الدولة العميقة" أجهضت اتفاقاتٍ عدّةً لوقف لإطلاق النار ومنها اتفاق وقف إطلاق النار الذي تم بين "لافروف" و"كيري" (10 أيلول/سبتمبر 2016) المعروف بـ "اتفاق الكاستيلو"، وجاء الاعتداء على "جبل الثردة" قرب مطار دير الزور (17أيلول/سبتمبر 2016) في هذا السياق. كان أوباما يُفضِّل مسارَ الإجهاد و"الحرب الهجينة" حتى لو امتد الأمر لمدة طويلة، ولم يكن مدفوعاً بإنجازات سريعة وحاسمة. أما ترامب الذي سبق أن انتقدَ كثيراً تورطَ إدارة أوباما في الأزمة السورية، ودعمها للجماعات المسلحة، أقترح: وبطوءَها في محاربة "داعش"، وأثار توقعات بأنه سوف يختلف عن سلفه "أوباما"، ولكن ما ظهر بالفعل هو أنه لم يقاوم كثيراً ضغوط "الدولة العميقة" و"لوبيات" الحرب والسلاح وإسرائيل وأوربا، وحتى لوبيات الخليج، إذا صح أنَّ للخليج لوبياً وتأثيراً ذا دلالة في واشنطن. وتزيد الورقة على هذه النقطة في فقرة أخرى.
- كشف عن أن عالم الإعلام والرأي العام هو عالم مُراءٍ، ويمكنه أن يتغير ويتلون بتغير الأجندات والأولويات السياسية والريعية، ويمكن لمن شاء أن يدقق، أن يقوم بدراسة خطوط التحرير للأخبار ومقالات الرأي والتعليقات السياسية تجاه الرجل بين يوم حادثة "خان شيخون" ويوم الاعتداء على "قاعدة الشعيرات"، ليكتشف عجباً في الإعلام الأمريكي والأوربي في هذا المقام، ومن نافل إضافة الإعلام الخليجي. وقد أصبحت وسائل الإعلام الأميركية والأوربية التي ناهضت "ترامب" قبل الاعتداء شديدة الحماس للرجل بعدها. واكتشفت –من دون أدنى حرج– أن الرجل عنده أخلاق ومبادئ، وأنه عقلانيّ وغير شعبوي، إلخ.
- كشف عن تطورين احتماليين متعاكسين: الأول، الشروع بخطوة لها ما بعدها من التصعيد وصولاً إلى إما تغيير الوضع بالقوة، أو التوصل تحت الضغط إلى تفاهمات جديدة وفرض أمر واقع جديد؛ والثاني، هو القيام بخطوة منفردة وعقابية ولن تغير من طبيعة الانخراط أو الانهمام الأمريكي-الروسي المشترك لإدارة الأزمة السورية.
- هذا يفسر مثلاً كيف أن واشنطن "أنذرت" موسكو، وقيل: إنَّ الأخيرة أنذرت دمشق بالاعتداء الصاروخي، ذلك بموجب مذكرة التفاهم والخط الساخن. ويفسر أيضاً كيف أن عدداً من الصواريخ لم يصل أهدافه المفترضة، وقد حرصت سورية وروسيا على القول: إنّها أُسقطت، وإنَّ المطار المستهدف أعيد تأهيله سريعا جداً، كلها مؤشرات "تطمين"، ولكنها لم تخفف من ردة فعل روسيا، ذلك أن الضربة أخذت بعداً سياسياً كبيراً، رغم محدوديتها عسكرياً.
- مدى اهتمام روسيا بالأزمة السورية، واستعدادها للدخول في مواجهة –مهما كانت ولو أنها لا تفضل ذلك– من أجل الحفاظ على أولوياتها وحلفائها في سورية، وقد تمت الإشارة في حيز آخر من الدراسة إلى أن روسيا استخدمت الفيتو (8) مرات –كان آخرها 12 نيسان/أبريل 2017– ضد مشاريع قرارات غربية في مجلس الأمن ضد سورية، وتقدم للحكومة السورية دعماً متعدد الأشكال لمواجهة تحديات

الأزمة. ورفضت الاستجابة لـ "إغراءات" و"ضغوط" كثيرة حثتها على التخلي عن أولوياتها وسياساتها في سورية.

- كشف عن "ذيلية سياسية"، لدى فواعل صنع السياسة في دول مثل: فرنسا، وبريطانيا، وألمانيا، ومثل ذلك وأكثر في: تركيا، والأردن، والسعودية، والإمارات، وقطر، وكذلك الحال لدى المبعوث الدولي "دي مستورا"، فقد كانوا جزءاً من "بروباغاندا ترامب"، الذي أصبح –بعد قرار الاعتداء– رئيساً، الآن وللتو! بل إن بعضهم زاود عليه، في كلامه هو وإدارته عن صوابية وشرعية وضرورة وإلحاح استهداف سورية.
- جانب من تلك الذيلية ناتج عن طبيعة بنيوية في سياسات التغلغل والاختراق الإقليمية والدولية، والجانب الآخر ناتج عن "إساءة تقدير" أو "إساءة حكم" في تلقي الأمور، وفي التفاعل مع تطورات المشهد السوري وتفاعلاته الإقليمية والدولية، ذلك بتأثير عوامل عديدة، منها: الطموح المُفرِط، والشخصنة الفائقة، وطغيان المدارك النمطية، والمخيالية العدائية، لدى عدد من فواعل السياسة المتورطين في الأزمة السورية، مثل: "الرئيس التركي أردوغان"، و"الفرنسي هولاند"، و"الملك السعودي سلمان"، و"الأردني عبد الله"، و"أمير قطر تميم"، إلخ.

سابعاً- العم "أبو إيفانكا"

كتب الروائي البيروفي "ماريو بارغس يوسا" الحاصل على جائزة نوبل للآداب معلقاً على فوز "دونالد ترامب" في الانتخابات الرئاسية الأمريكية، قائلاً: «إن الغرب، مهد ثقافة الحرية والتقدم، بات مرعوباً من التغيرات العالمية الكبرى الناتجة عن العولمة، ويريد أن يتراجع جذرياً ليحتمي فيما سمّاه بوبر بـ "نداء القبيلة"، بمعنى: القومية، وكل العيوب الخلقية، مثل: كراهية الأجانب، والعنصرية، وسياسة الحماية، والانعزالية»[31]. وهكذا فإن ما يُنتقد عليه "ترامب"، ربما هو الذي أوصله للرئاسة. وسوف يتضح من تحولاته، وخاصة قراره بالاعتداء على "قاعدة الشعيرات"، أن ما ينتقده الإعلام وفواعل السياسة عليه، هو نفسه ما جعله موضع مدح!

كشف الموقف بشكل أكبر عن جانب من طبيعة "ترامب"، الرئيس الذي يمارس السياسة بعقلية رجل الأعمال أو التاجر، و"الكاوبوي" المغامر، والفج، أو: الوقح، والنرجسي، وغير المستقر نفسياً.[32] وقد وصفه "فرانسيس فوكوياما" بأنه يختلف تقريبًا عن الرؤساء الأمريكيين الـ 43 الذين سبقوه، وأنه "أظهرت حياته المهنية تصميماً أحادي التفكير لتحقيق أقصى قدر من المصلحة الذاتية، والالتفاف على القواعد كلما وقفت في طريقه، على سبيل المثال: عن طريق إجبار المقاولين على مقاضاته حتى يدفع ما يدين به إليهم"[33].

وكان "ترامب" أعلن في تصريحات أن حلف الناتو "مؤسسة عفّى عليها الزمن"، ولكنه عاد عن ذلك إثر اجتماعه بأمين عام الحلف "ينس شتولتنبرغ"، وغير أقواله تجاه الصين، وتجاه مسؤولين في النظام الاحتياطي الفدرالي الأمريكي، ومسؤولي الهجرة، والاستخبارات الخ. وأشار موقع The Daily Beast إلى أن "مواقف ترامب" تغيرت 6 مرات على الأقل حول مسائل مختلفة في يوم واحد، وكانت الآراء التي طرحها خلال ذلك اليوم تتناقض مع موقفه منها في السابق". وحدث مثل ذلك بالنسبة لموقفه من الرئيس بشار الأسد، إذ عدَّ هو ومسؤولون في إدارته –قبل يومين من حادثة خان شيخون– أن الأمر يتعلق بالشعب السوري، ليعلن وزير خارجيته "ريكس تيلرسون" بعد حادثة الكيماوي والاعتداء على قاعدة الشعيرات أنَّ «من الواضح لنا أن حكم عائلة الأسد يقترب من النهاية»[34]. ليعود "ترامب" نفسه للقول بعد يومين: إنَّ سياسة إدارته «لا تشترط رحيل الرئيس السوري

---

[31] ماريو بارغاس يوسا، "انهيار الغرب"، **العربي الجديد**، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2016. https://goo.gl/bXATwK

[32] "أخصائيون نفسيون يوقعون رسالة مفتوحة: ترامب غير مؤهّل للرئاسة"، **العربي الجديد**، 16 شباط/فبراير 2017. https://goo.gl/DSM49X؛ و"تحليل نفسي: ترامب مريض خطير وغير مؤهل ليكون رئيساً"، **العربي الجديد**، 30 كانون الثاني/يناير 2017. https://goo.gl/BCzXg7

[33] "فوكوياما: فوز ترامب يشكل نقطة تحول مفصلية للنظام العالمي"، **عربي 21**، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2016. https://goo.gl/miByL3

[34] "تيلرسون: حكم عائلة الأسد يقترب من النهاية"، **الحياة**، 12 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/f1AehW

كجزء من الحل السلمي للصراع»، مضيفاً «لسنا مصرين على ذلك؛ لكن أعتقد أن ذلك سيحصل في مرحلة ما». وتابع «ليس من المستحيل تحقيق السلام في سوريا مع بقاء الأسد في السلطة»[35].

وقد هاجم "ترامب" النخبة السياسية والثقافية في واشنطن، بما في ذلك حزبه، بأنها جزء من عصابة فاسدة يأمل في إزالتها. ولم يهتم كثيراً لقواعد اللياقة الرئاسية والتخاطب والتعبير في عالم السياسة، بما في ذلك الكذب العلني والفاضح، وسعى إلى تقويض شرعية عدد من المؤسسات القائمة، من مجتمع الاستخبارات (الذي قارنه بالنازيين) للمجلس الاحتياطي الاتحادي إلى النظام الأمريكي للإدارة الانتخابية (الذي قال: إنه مزور، حتى فاز)[36]، كما أنه مهتم بالقوة والحسم بوصفهما مؤشرات على الزعماء الناجحين، وأطلق تعابيرَ وأفكاراً نالت من حلفائه الأوربيين وتوابعه في الخليج، كما أنه تناول وسائل الإعلام والمثقفين والفنانين وغيرهم بتعابير لا تنسجم مع موقعه الرئاسي. غير أن ذلك كله ربما صار من الماضي، طالما أن الرجل قرَّر ضرب سورية!

هاجم "ترامب" النخبة السياسية والثقافية في واشنطن، بما في ذلك حزبه، بأنها جزء من عصابة فاسدة يأمل في أن يطيحها. ولم يهتم كثيراً لقواعد اللياقة الرئاسية والتخاطب والتعبير في عالم السياسة.

وما يشير إلى طبيعة "ترامب"، وربما طبيعة صنع القرار في واشنطن، ما قاله نجله إريك من أن ابنة ترامب "إيفانكا"، وهي من إحدى موظفات البيت الأبيض، حثت والدها على ضرب سورية. وقال سفير بريطانيا لدى واشنطن، "كيم دارو"، في مراسلة دبلوماسية سرية أطلعت عليها صحيفة الاندبندنت: إنَّ «مواقف ابنة ترامب كان لها تأثيرٌ كبيرٌ في المكتب البيضاوي، حتى أن ردة فعلها كانت أقوى من المتوقع»[37]. وقالت "إيفانكا ترامب"، في تغريدة نشرتها على حسابها في موقع "تويتر": «أفتخر بوالدي الذي رفض قبول هذه الجرائم البشعة ضد الإنسانية»[38].

[35] "مرة أخرى...ترامب ليس مصر على رحيل الأسد"، **سبوتنيك**، 13 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/Ag74EA

[36] فرانسيس فوكوياما، مصدر سابق.

[37] "رسائل سرية تكشف دور "إيفانكا ترامب" في إقناع والدها بضرورة ضرب سوريا"، **سبوتنيك**، 10 نيسان/أبريل 2017. https://goo.gl/N4E0Xs

[38] المرجع السابق نفسه.

ثامناً- الإشارات والتنبيهات

- أثار الاعتداء على "قاعدة الشعيرات" موجة تقديرات وتأويلات مُفرِطة عن تحول كبير في موقف الولايات المتحدة، أو: "إدارة ترامب" ليس تجاه الأزمة السورية فحسب، وإنما تجاه الموقف الدولي ككل، وخاصة العلاقات الأمريكية الروسية، وبالأخص العلاقات بين "ترامب" و"بوتين".
- يضع الاعتداء تصريحات المسؤولين الأميركيين قبل أيام عدّة من حادثة "خان شيخون" حول الرئيس "الأسد" في سياقها الحقيقي، وتبين أنها مجرد "لوازم" تعبيرية و"استعارات" لفظية، وثمة من فهمها تضليلاً أو تمهيداً لتغير "درامي" في الموقف، ولم تدل على تغيرٍ جدي في أولويات "ترامب" تجاه الأزمة السورية.
- هل كان "ترامب" يضلّل الجمهور عندما قال قبل يومين من الحادثة – على لسان مسؤولين في البيت الأبيض ووزير الخارجية والسفيرة الأميركية في الأمم المتحدة-إنه غير معني بأمر الرئيس "بشار الأسد"، وهذا الأمر يعود تقريره للشعب السوري؟ التقدير القريب من اليقين هو نعم، وقد أعلنت المتحدثة باسم الخارجية الروسية "ماريا زاخاروفا" أن قرار واشنطن بالاعتداء على سوريا تم قبل حادثة "خان شيخون" التي اتخذت ذريعة. وهذا يعني أن الحادثة المذكورة هي لتبرير الاعتداء وتظهير التحول في الموقف.
- ما قام به "ترامب" ليس مُنْبَتَ الصلة عما تمناه عليه حلفاؤه وعصبة صنع القرار. وهو ليس مجرد تتابع عشوائي او ارتباط مؤهب بين مدخلات ومخرجات، أسباب ونتائج، ولا مجرد حسابات عقلانية لمدارك تهديد أو أولويات أمن قومي، وإنما نحن أمام موقف يتطلب تدبيره رؤى جديدة، من قبيل دور الحمق، أو: الكذب، أو: التضليل، أو: الوهم في السياسات.
- إن الحديث عن سلاح كيماوي، وترويج الغرب له، يعني أن للموقف ما بعده، أي: أنه سوف يمارس ضغوطاً كبيرة من أجل تحقيق مكاسب سياسية أو عسكرية كذا، هذا على غرار حادثة الغوطة مثلاً، أي اتخاذها ذريعة.
- تغيرت أنماط التورط الأمريكي في الأزمة منذ آذار/مارس 2011، ليس بإحلال نمط محل آخر، أعني: ليس بالإحلال وإنما الإضافة، إذ تواصلت الضغوط ودعم العمليات الرامية لإسقاط الدولة السورية، وزادت التورط العسكري، وتولت بشكل متزايد القيام بمهام مباشرة عندما وجدت أن النمط بالوكالة لم يحقق الأهداف المرجوة، وعندما وجدت أن روسيا وإيران مكنتا دمشق من مواجهة الاستهداف المُرَكَّز والمتواصل الهادف لإسقاطها.
- جاء الاعتداء على "الشعيرات" والتداعيات اللاحقة استجابة لتقديرات "الدولة العميقة" ومخاوفها وديناميات صنع القرار في الولايات المتحدة، التي بقيت على عدائها لروسيا وإيران وسورية، وهي لم تكن راضية بالأساس عن التفاهمات بين "أوباما" و"بوتين" حول الحدث السوري.

- إشغال الرأي العام عن إخفاقات "ترامب" الداخلية المتكررة، وتدني شعبيته بشكل كبير، والشكوك حول أهليته لأن يكون رئيساً للولايات المتحدة.
- تحريك الذراع العسكرية بوصفها أحد أعمدة قوة أمريكا. ويبدو أن "الدولة العميقة" تواصِل أجندتها الخاصة بروسيا وغيرها بكيفية مختلفة عن أولويات "ترامب" نفسه، ذلك أن الولايات المتحدة لا تزال تعيش ذهنية الحرب الباردة، ولو أنها لا تزال أيضاً بعيدة نسبياً عن مكارثية جديدة لمناهضة روسيا.
- يقول ترامب للرأي العام: إنَّ علاقته مع روسيا لم تضعفه، وإنَّ علاقته ببوتين ليست ذيلية أو استتباعية، وإن الأخير لم يتدخل لمساعدته في الانتخابات. وقد انشغل الرأي العام وفواعل صنع السياسة في الولايات المتحدة (وغير مكان من العالم) بطبيعة العلاقة "الملتبسة" أو "الخفية" مع موسكو.
- إعادة التوازن لموقع وصورة الولايات المتحدة في منطقة الشرق الأوسط (والعالم)، وخاصة مع تزايد الانتقادات الأوربية لتراجع دور أمريكا وضعفها وتضاؤل وزنها النسبي في سياسات إدارة الأزمة السورية.
- أظهرت فرنسا وبريطانيا وأطراف أخرى احتفاءً كبيراً بالاعتداء على قاعدة الشعيرات، كما لو أنَّ ذلك إعادة إحياء لمنطق الناتو والحرب الباردة، وعودة الدفء إلى العلاقات الأمريكية-الأوربية.
- جاء الموقف الأمريكي بعد موجة مطالب إسرائيلية وتركية وخليجية بـ "إخراج" إيران وحزب الله من سورية.
- توجيه رسائل لروسيا وإيران، من أن إدارة "ترامب" جاهزة لمباشرة السياسات التي تحفظ مصالحها ومصالح حلفائها في سورية، وأنهما ليستا الوحيدتين اللتين تدعمان حليفهما. كانت برزت تقديرات أو انتقادات كثيرة لواشنطن من حلفائها من أنها تركت سورية لروسيا، وتخلت عن حلفائها الذين حاولوا "إغواءها" بكل ما هو ممكن من أجل التدخل العسكري المباشر لإسقاط الدولة السورية.
- قيل: إن دول الخليج تكفلت بتغطية تكاليف العمل العسكري المطلوب، على غرار ما فعلت في ليبيا، وتَعِدُ مجموعات المعارضة بمنحها (وإسرائيل) امتيازات حصرية فائقة. وكان تردد "أوباما" أمام تلك الإغراءات أثار الإحباط لدى مناهضي دمشق، مثل: تركيا والسعودية وعدد من الدول الأوربية.
- تطمين الحلفاء الدوليين والإقليميين بأن الولايات المتحدة لم تخلِ الساحة لروسيا، وأنها تتدخل عندما تجد ذلك ضرورياً أو مناسباً وفقاً لتقديرات أمريكية.
- "تخريج" أفكار "ترامب" عن المنطقة الآمنة، وقد كان حديثه عن عزمه إقامة مناطق آمنة مثار تقديرات مختلفة، لكنها تراجعت نسبياً مع إبداء روسيا استعدادها للمساعدة في الموضوع شريطة موافقة دمشق، ولربما كانت المواقفة الروسية هي أحد عوامل كبح الخطة أو تغييرها، طالما أن موافقة روسيا ودمشق على الخطة تعني فشلها من خلال إعادة صياغتها وبالتالي "تهجينها" أو إفراغها من مضمونها المناهض لدمشق، فقد كان من الضروري أو من المناسب أن يتم "الخروج على قواعد اللعبة" جزئياً والتلويح بالاستعداد لـ "كسرها" بالقوة العسكرية.

- تحاول الولايات المتحدة استهداف سورية من أكثر نقاطها قوة، حيث يكون استهداف أكثر النقاط قوة كفيلاً بانهيار الخصم بشكل كلي. وأن منطق المواجهة ربما يتجه لاستهداف الحلقة الأقوى أو النقطة التي تتمفصل فيها أو تلتقي حولها مختلف فواعل الأزمة، حيث يكون كسر تلك الحلقة هو الخطوة الحاسمة في تغيير كل شيء.
- الموقف الأمريكي ضد سورية عميق و"متجذر"، ولم يتغير كثيراً بتغير رؤساء أو أحزاب أو أشخاص. وهكذا فإن العداء لسورية هو الأصل والثابت والحقيقي، أو: هو المحكم بلغة الفقهاء، وما عدا ذلك فهو متغير ووهمي أو متشابه.
- ربما كانت تقديرات الدولة العميقة أو عصبة صنع القرار في واشنطن، هو أن الأخيرة "انحنت" أمام "عاصفة السوخوي" في سورية ولم تناهض بصورة مباشرة الدور العسكري الروسي في سورية، حتى مع إدراكها أن ذلك الدور أضرَّ بخطط واشنطن في سورية، وهكذا فقد حان الوقت –من هذا المنظور- لأن "تنحني" موسكو بعض الشيء لـ "عاصفة التوماهوك" أيضاً.
- إنَّ عالم الإعلام هو عالم مراءٍ، ويمكنه أن يتغير ويتلون بتغير الأجندات والأولويات السياسية والريعية. وقد أصبحت وسائل الإعلام الأمريكية والأوربية التي ناهضت "ترامب" قبل الاعتداء شديدة الحماس للرجل بعدها.
- عولت تركيا على أن يؤدي تحول الموقف الأمريكي من الأزمة السورية إلى عودة العلاقات بينها وبين واشنطن وبروكسل إلى أكثر لحظاتها حميمية، لأن ذلك من متطلبات الحرب، وقد يعزز من فرص تركيا في المباعدة بين واشنطن وكرد سورية، والمشاركة في عملية إخراج "داعش" من الرقة، واحتواء الكيانية الكردية الناهضة في شمال سورية، وترتيب استراتيجية مشتركة حول مسارات الأزمة السورية. ولو أن العامل الروسي والإيراني لن يكون حيادياً هنا، وعلى أردوغان أن يتوقع إكراهات ثقيلة في هذا الباب.
- يتخذ تأثير إسرائيل أنماطاً مختلفة، بدءاً من السعي لإقامة تحالف مع: تركيا، والسعودية، والأردن والإمارات، وقطر، وغيرها، بالإضافة إلى فواعل أخرى، باسم ناتو إقليمي بهوية طائفية سنية مزعومة في مواجهة هوية شيعية مزعومة، أو ما يقال عن تحالف الاعتدال.
- تأثير السياق الإقليمي، أو: بتعبير آخر تأثير الإلحاح المستمر من قبل تركيا ودويلات الخليج وعدد من الدول الأوربية على الإدارة الأمريكية لاتخاذ قرارات حاسمة ضد سورية، بوصفها فضاء لصراع مركب.
- نبه الاعتداء إلى ضرورة التدقيق في مدارك التهديد لدى سورية وحلفائها، بما يتضمن التنبه إلى "بداهات الصراع" في المنطقة والعالم.
- وجد الروس أن عليهم إظهار استعدادهم لـ "إجراء ما يلزم"، استجابة لمدارك تهديد عالية، كذلك الأمر بالنسبة لإيران. وعلى الحكومة السورية أن تكون على قدر التحدي.

الخاتمة

أثار الاعتداء الأمريكي على قاعدة الشعيرات الجوية، تقديرات متفائلة لدى أعداء سورية، وزاد في آمالهم بشأن تحول كبير في الموقف ضد دمشق، إلا أنه أثار ارتدادات عكسية أيضاً، بمعنى: أنه خلق ردة فعل تضامنية كبيرة لدى المستهدفين. وقد صدرت مواقف عن روسيا منذ الاعتداء، تفوق ما صدر عن سورية نفسها، وعبر "فلاديمير سوفرونكوف" مندوب روسيا في الأمم المتحدة (12-4-2017) عن مواقف هجومية قد تفوق ما يمكن أن يقوله أي سوري في قلب المعركة على بلاده. كما عبرت إيران وحزب الله عن مثل ذلك في بيان غرفة العمليات المشتركة المشار إليه آنفاً.

انطلق الاعتداء من مبدأ المواجهة غير المتكافئة بين طرفين، يشعر الطرف المعتدي (الولايات المتحدة) فيها بفائض القوة وفارق الموارد والإمكانات بينه وبين الطرف المعتدى عليه (سورية)، إلا أن منطق الاستجابة كان مختلفاً ومفاجئاً، فقد كان الرد مكافئاً، بل إنه فاق توقعات الولايات المتحدة نفسها، بمعنى: أنه جاء من دولة لديها فائض قوة وإرادة ونزوع للمكانة والدور وشعور بالاستهداف، وهي روسيا، بالإضافة لتأثير فواعل حليفة أخرى.

هذا يضع قرار الاعتداء على قاعدة الشعيرات الجوية في حيز "إساءة الحكم" أو "إساءة التقدير" من قبل إدارة ترامب وحلفائها، ولو أن المعركة مفتوحة على احتمالات عديدة، ولا يمكن الجزم بمسارات الأمور ومآلاتها، ذلك أن ديناميات الصراع سوف تستمر، كما سبقت الإشارة، بالإضافة وليس بالإحلال، إذ إن الأدوات تشتغل معاً، حتى أن عقل وسلاح ما بعد الحداثة يستخدم لدعم جماعات اللاعقل وما قبل التاريخ، وما يتغير هو التركيز النسبي لاستخدماها وأيها الذي يحتل واجهة المشهد. تمهيداً أو تأسيساً لقطيعة في الموقف من الأزمة، وهو ما بدا في التوتر المتزايد بين الولايات المتحدة وروسيا منذ اعتداء الشعيرات، وخاصة خلال جلسة مجلس الأمن الدولي (12-4-2017) والتي شهدت سجالات حادة وغير مسبوقة بين مندوبي روسيا وبريطانيا. وهذا يعني أن حادثة "خان شيخون" هي جزء من سياسات معدة مسبقاً كانت تنتظر اللحظة الافتتاحية المناسبة لتظهيرها ومحاولة الإيفاء بمتطلباتها.

تمثل سورية "خط الصدع" في السياسات الدولية، وسوف تتظهر فيها ومنها طبيعة النظام الدولي في المرحلة القادمة، وهذا يفسر حجم الاحتدام في المشهد السوري. وقد مثل الاعتداء الامريكي على قاعدة الشعيرات الجوية مؤشراً ذا دلالة على حجم "اللامتوقع" ودوره في تحديد أو ترجيح مسارات الأمور، وكيف أن التجاذبات يمكن أن تصل إلى ذرى قد تفجر حرباً عالمية في أي وقت، لولا أن إكراهات الحرب والمدارك حول تداعياتها المهولة تمثل أهم عوائق أو موانع اندلاعها، فيما تبحث الأطراف عن إمكانات ونوافذ استهداف أخرى أكثر مردودية وأقل تكلفة وبلا "بقايا" تقريباً، بتعبير "ألفونسو كروش"، ما أمكن ذلك.

المراجع

الكتب:

1. أرندت، حنة. **ما السياسة؟**، ترجمة: زهير الخويلدي وسلمى الحاج مبروك، (الجزائر، الرباط: منشورات ضفاف، دار الأمان، 2014).
2. بودريار، جان. **المصطنع والاصطناع**، ترجمة: جوزيف عبد الله، (بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ط1، 2008).
3. بيرلن، إيزايا. **الحرية**، إعداد هنري هاردي، ترجمة: معين الإمام، (مسقط: دار الكتاب، 2015).
4. تشومسكي، نعوم. **سنة 501 الغزو مستمر**، ترجمة: مي النهان، (دمشق: دار المدى، ط1، 1996).
5. تودوروف، تزفيتان. **الأمل والذاكرة: خلاصة القرن العشرين**، ترجمة: نرمين العمري، (الرياض: العبيكان، ط1، 2006).
6. دريدا، جاك. **تاريخ الكذب**: مقدمة، ترجمة: رشيد بازي، (بيروت: المركز الثقافي العربي، 2016).
7. العكش، منير. **حق التضحية بالآخر: أميركا والإبادات الجماعية**، (بيروت: دار الريس للكتب والنشر، ط1، 2002).
8. كروش، ألفونسو. **هيا نشتر شاعراً**، ترجمة: عبد الجليل العربي، (تونس: دار مسكيلياني للنشر والتوزيع، 2017).
9. لايكوف، جورج. **حرب الخليج والاستعارات التي تقتل**، ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 2005).
10. لايكوف، جورج، مارك جونسون. **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة: عبد المجيد جحفة، (الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، ط2، 2009).
11. نوريس، كريستوفر. **نظرية لا نقدية: ما بعد الحداثة، المثقفون وحرب الخليج**، ترجمة: عابد اسماعيل، (بيروت: دار الكنوز الأدبية، ط1، 1999).

الدراسات:

1. أرندت، حنة. **الحقيقة والسياسة**، ترجمة: حسين سحبان، (الدار البيضاء: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2015).
2. محفوض، عقيل سعيد. **الحدث السوري: مقاربة تفكيكية**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
3. محفوض، عقيل سعيد. **خط الصدع: في مدارك وسياسات الأزمة السورية**، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).

4. محفوض، عقيل سعيد. **مفهوم الأمن: مقاربة معرفية إطارية**، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والنشر، 2016).

الدوريات

1. هيرش، سيمور. "من استعمل الأسلحة الكيميائية في سورية؟ دور أوباما وأردوغان والمتمردين السوريين :الخط الأحمر وخط الجرذان"، **المستقبل العربي**، العدد 423، أيار 2014.

المواقع الإلكترونية:

1. "أخصائيون نفسيون يوقعون رسالة مفتوحة: ترامب غير مؤهّل للرئاسة"، **العربي الجديد**، 16 شباط/فبراير 2017.

https://goo.gl/DSM49X

2. "الكرملين: الدعوات لوقف دعم الأسد تعادل وقف محاربة الإرهاب"، **روسيا اليوم**، 12 نيسان/أبريل 2017.

https://goo.gl/5P1AS4

3. "المقداد للميادين: قدمّنا معلومات عن إدخال "النصرة" مواد سامة للقيام بهجوم كيماوي"، الميادين، 7 نيسان/أبريل 2017.

https://goo.gl/wjFTuz

4. "أمريكا أجرت اتصالات سرية مع الحكومة السورية"، **رويترز**، 24 كانون الأول/نوفمبر 2015.

5. "أميركا تعِدّ استراتيجية حازمة وروسيا تسخر من مكارثية"، **الحياة**، 4 آذار/مارس 2017.

https://goo.gl/yNp2Ws

6. "بتمويل خليجي... ترامب يجدد عزمه إقامة مناطق آمنة في سوريا وجوارها"، **الميادين**، 19 شباط/فبراير 2017.

https://goo.gl/AOMrK8

7. "بوتين يحذر من استفزازات كيماوية بسوريا"، **روسيا اليوم**، 11 نيسان/أبريل 2017.

https://goo.gl/AJgCcm

8. "بيان حلفاء سوريا: أميركا تجاوزت الخطوط الحمراء وسنواجهها بكل قوة ولو بلغ ما بلغ"، **الميادين**، 9 نيسان/أبريل 2017.

https://goo.gl/PxJTBn

9. "تحليل نفسي: ترامب مريض خطير وغير مؤهل ليكون رئيساً"، **العربي الجديد**، 30 كانون الثاني/نوفمبر 2017.

https://goo.gl/BCzXg7

10. "مرة أخرى... ترامب ليس مصر على رحيل الأسد"، **سبوتنيك**، 13 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/Ag74EA

11. "تيلرسون: حكم عائلة الأسد يقترب من النهاية"، **الحياة**، 12 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/f1AehW

12. "رسائل سرية تكشف دور "إيفانكا ترامب" في إقناع والدها بضرورة ضرب سوريا"، **سبوتنيك**، 10 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/N4E0Xs

13. "فوكوياما: فوز ترامب يشكل نقطة تحول مفصلية للنظام العالمي"، **عربي 21**، 12 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.
https://goo.gl/miByL3

14. "لافروف: هذا الوضع يذكرنا بعام 2003 في العراق"، **روسيا اليوم**، 7 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/PWOIsp

15. "مكارثية مطاردة الساحرات وأشباح روسيا في أمريكا!"، **روسيا اليوم**، 4 آذار/مارس 2017.
https://goo.gl/A8F6sC

16. "هل تدفع دول الخليج ثمن شن هجوم أمريكي على سوريا؟"، **القدس**، 3 أيلول/سبتمبر 2013.
http://www.alquds.co.uk/?p=80465

17. "هولاند: يجب استغلال "ضعف" بوتين وانشغال إيران بالانتخابات لضرب الأسد"، **الميادين**، 13 نيسان/أبريل 2017.
https://goo.gl/dGicGe
http://ara.reuters.com/article/topNews/idARAKBN0U718E20151224

18. يوسا، ماريو بارغاس. "انهيار الغرب"، **العربي الجديد**، 30 تشرين الثاني/نوفمبر 2016.
https://goo.gl/bXATwK

أخرى:

1. برلين، أشعيا. **القنفذ والثعلب: مقالة في نظرة تولستوي إلى التاريخ**، نشرها أول مرة في عام 1953.
2. بيان الرئاسة السورية، 7 نيسان/أبريل 2017.
3. حوار الرئيس بشار الأسد مع وكالة **فرانس برس**، 14 نيسان/أبريل 2017.

عقيل سعيد محفوض

- كاتب سوري، تتركز دراساته واهتماماته العلمية حول الشؤون الإقليمية، المنطقة العربية وتركيا وإيران والأكراد.
- عمل مديراً للتعاون الدولي في وزارة التعليم العالي (2007-2009)، وعضواً في الهيئة العلمية لـ المركز السوري لبحوث الرأي العام (2010-2016)، وعضواً في الهيئة العلمية لـ مركز بيروت لدراسات الشرق الأوسط (2013 - 2016).
- مدير العلاقات الثقافية في وزارة التعليم العالي، (2013).
- رئيس قسم الدراسات السياسية في مركز دمشق للأبحاث والدراسات/ مداد. (2015).
- صدر له
  - **كتب:**

- **جدليات المجتمع والدولة في تركيا: المؤسسة العسكرية والسياسة العامة**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2008).
- **سورية وتركيا: الواقع الراهن واحتمالات المستقبل**، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2009).
- **السياسة الخارجية التركية: الاستمرارية – التغيير**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012).
- **تركيا والأكراد: كيف تتعامل تركيا مع المسألة الكردية؟** (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012). (إلكتروني).
- **تركيا والغرب: "المفاضلة" بين الاتحاد الأوربي والولايات المتحدة**، (أبو ظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، 2013).
- **الأكراد، اللغة، السياسة: دراسة في البنى اللغوية وسياسات الهوية**، (بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2013).

  - **دراسات وأبحاث:**

- **العلاقات السورية – التركية: التحولات والرهانات**، (2011)، **وسورية وتركيا: "نقطة تحول" أم "رهان تاريخي"؟** (2012)، **الحدث السوري: مقاربة "تفكيكية"**، (2012). صدرت عن المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت – الدوحة.
- **الخرائط المتوازية: كيف رُسمت الحدود في الشرق الأوسط؟** (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **خط الصدع؟ في مدارك وسياسات الأزمة السورية**، دراسة، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **دروس الحرب؟ أولويات الأمن الوطني في سورية**، دراسة، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).
- **صدوع الجزيرة في تحديات وتحولات المسألة الكردية في سورية**، دراسة، (دمشق: مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2016).

- "**مفهوم الأمن: مقاربة معرفية إطارية**"، دراسة، (الرباط: مؤسسة مؤمنون بلا حدود للأبحاث والدراسات، 2016).

- **أوراق بحثية:**

- "**العرب في تركيا": محور تواصل أم تأزيم؟** (2012). بحث في مؤتمر العرب وتركيا نُشِرَ في كتاب جماعي.
- **سياسات إدارة الأزمة السورية: "الإدارة بالأزمة"؟** بحث في كتاب جماعي، (2013).
- **الشرق الأوسط بعد 100 عام على الحرب العالمية الأولى: من "المسألة الشرقية" إلى "الدولة الفاشلة"، هل هناك سايكس – بيكو جديد؟** (مؤتمر في بيروت 19-22 شباط/فبراير،2015).

مداد

مركز دمشق للأبحاث والدراسات

Damascus Center For Research and Studies

سورية – دمشق – مزة فيلات غربية – خلف بناء الاتصالات – شارع تشيلي – بناء الحلاق85

Damascus - syria

Tel: +963 116 114 776

Fax: +963 116 114 731

www.dcrs.sy

info@dcrs.sy